على ذمة التحقيق
علا عامر
فكرة الرواية
الغلاف عرفه علي

على ذمة التحقيق

لـ علا عامر

فكرة الرواية

جامعة انسان

متنساش تعمل لايك لصفحتنا

www.facebook.com/05goo

مقدمـــــــة

الحياة عبارة عن سلسلة افلام سينيمائة ونحن فيها الكاتب والمخرج والمصور ولكن تختلف ادوارنا في التمثيل فهناك افلام نأخذ فيها بطولة مشتركة وهناك اخرى نكون فيها ضيوف شرف ويظل فيلم واحد لنا فيه البطولة المطلقة.....

البعض يلعب دوره ببراعة في جميع الافلام والبعض الاخر يكتفي باحد الادوار وهناك اخر....يكتفي بان يأخذ دور

(الكومبارس) .

في مسرح السينيما يكون الابطال محكومين بقصة الفيلم واوامر المخرج ويظهر العمل من الجانب الذى ينقله لنا المصور ..فان كان يريده مأساوياً فسيركز على الجانب المأساوى وان كان يريده من الذى ينتهى بتلك النهايات السعيدة فسيظهر لنا السعادة والبهجة ويترك ما دون ذلك مهمشاً، ولكن...في مسرح الحياة لا يحكمنا شىء على الاطلاق فنحن نكون ....فريق العمل بأكمله....

وتلك القصة هى احدى تلك المشاهد التى نشاهدها في فيلم الحياة فيمر بعضنا عليها مرور الكرام...بينما يتوقف البعض قليلاً ليري ان كان ما يراه يستحق المشاهدة!!!

البداية

ورحمة امى لاوريكى انا هقلبها عليكوا كلكوا انا هخليكي تندمى على اليوم اللى شوفتى الدنيا فيه مش هتطلعى من هنا غير على قبرك وهبعتلك.....

خرجوا الراجل ده من هنا بسرعة .. كان الاخير هو صوت وكيل النيابة الذي صرخ بانفعال فاسرع الشرطيان باخراج ذلك الرجل الذى احدث جلبة داخل القسم وتلك الفتاة تحاول تمالك نفسها من الهلع واضعة كفيها على وجهها وجسدها يرتجف حتى جعل الدموع تفر خوفا من عينيها لتتركها تواجه هذا الموقف وحدها و مازال هذا الرجل يتمتم بعبارات من التهديد والوعيد حتى انقطع الصوت عن الغرفة .

اتجه وكيل النيابة الى الكاتب واخذ يمليه المحضر وانهى حديثه قائلا: يتم حبس يوسف احمد عبدالله 4 ايام على ذمة التحقيق ويتم احالة المتهمة سلمى وائل رشدى الى الطب الشرعى إلى حين البحث في القضية اقفل المحضر،ثم وجه حديثه للشاب والفتاة الماثلين امامه قائلا :امضوا على المحضر .

تناول يومسف القلم ولم ينطق بكلمة واحدة.. كان ثابتا.. لم يهتز.. ولم ينفعل ولم يحاول الدفاع عن نفسه ربما لم يكن قد

تقبل الصدمة بعد أو..... ربما كان يفكر في كل ما حدث: هل هى مذنبة؟! ام مظلومة؟! هل تعرف ذلك الشاب؟! ولماذا حدث بينهم ماحدث؟! ولماذا قد تُقدم على فعل هذا؟! هل هو الخوف ام انها كانت ترغب في التخلص منه؟! آلاف الاسئلة كانت تدور في ذهنه كان بداخله بركان ثائر، صراع داخلى، خوف وصدمة ،الم وحيرة، انه مزيج من كل شىء مؤلم ومع ذلك كان جسدة كالجليد وقسمات وجهه كالحديد لا تلين ولا تبوح عما بداخل صاحبها ولا تتأثر بذلك البركان الثائر..

انتهى يوسف من الامضاء وتناولت سلمى القلم ،كان حالها على النقيض فقد كان جسدها ينتفض ويداها ترتجفان ...تحاول التبرير تحاول الدفاع عن نفسها تحاول ان تفعل اى شىء : والله انا مظلمومة انا مظلومة انا هخلى بابا يجيبلي احسن محامى في البلد انا لازم اطلع من هنا ...قاطعها صوت وكيل النيابة قائلا: انتى هيتم عرضك على الطب الشرعى وتيجي على هنا عشان يتحدد معاد جلستك ويستحسن تكونى جبتى المحامى ... وما ان سمعت تلك الكلمة حتى اندفعت الدموع من عينيها وظلت تصرخ : يا يوسف متسيبنيش انا مليش غيرك، يا يوسف متخليهمش ياخدونى خدنى معاك ، يا يوسف رد عليا .....

اسرع الضابط لانهاء ذلك الفيلم الدرامى الذى شاهده الاف المرات قائلا: تعالوا خدوهم، فدخل الشرطيان لاخذهما ويوسف لا ينطق بكلمة واحدة بل ينظر اليها في الم وهى تحاول التشبث به وتواصل الصراخ حتى سحبها الشرطى بعنف إلى مكان حبسها.. وأُغلِقت الأبواب ....

ظلت تقاوم وتصرخ وتطرق الباب بعنف وتنادى: خرجونى من هنا افتحوا الباب ، انا هوريكوا...انا هعرفكوا ازاى تعاملونى كدة أنا هرفع عليكوا قضية ، يا يوسف تعالى خدنى .... يا يوسف.....

حتى استكانت اخيرا للوضع وعلمت انه لا مفر للخروج ... كان المكان كئيباً مظلماَ له رائحة قذرة لا يوجد به منفذ للهواء سوى نافذة باب الغرفة جلست الفتاة في احدى زوايا الغرفة ووضعت راسها على ركبتيها وأجهشت بالبكاء لم تستطع تجميع افكارها..لم تستطع استيعاب ما حدث ..وما يحدث..او ما سيحدث، كل ما استطاعت فعله هو البكاء ، لا تعلم كم من من الوقت استغرقت فيه ولا لكم من الوقت ستستغرق فيه..ولا تعلم حتى متى غلبها النوم .....

استيقظت سلمى على صوت الشرطى الذى فتح الباب قائلا: يلا قومى بسرعة معاد تحويلك جه ، قامت سلمى في خضوع ولم

تنطق بكلمة واحدة ، اتجهت مع الشرطي الى حيث امرها وبعد مرور بضع ساعات كانت قد وصلت الى المشفي ، جلست سلمى امام الطبيبة لتقوم بفحصها التى قالت وهى تدون بعض الملاحظات :

ـــ امممممم واضح ان فيه آثار عنف فعلا

ثم امسكت بذراعها الذى تعددت به العلامات الزرقاء و آثار اليد ثم قالت:

ـــ ده هيكون لمصلحتك ... انا كدة خلصت ..ثم فتحت الباب ووجهت حديثها للشرطيين : تقدروا تاخدوها اول ما يخلص التقرير هنبعته

، اصطحبها الشرطيان الى السيارة لتعود مرة اخرى الى غرفة الحبس حتى موعد عرضها على النيابة مرة اخرى.

كانت سلمى ماثلة أمام وكيل النيابة في تمام الساعة الثالثة عصرًا من صباح اليوم التالى .....

ـــ فين المحامى بتاعك ؟؟

ـــ .....

ـــ طيب ، احنا وصلنا تقرير الطب الشرعى وكدة هنضطر ننتدبلك محامى، انتى هتفضلي هنا في الحبس الاحتياطي لحد معاد جلستك.

ثم نادى على الشرطي لاصطحابها.. لم تنطق سلمى بكلمة واحدة ،لم تحاول التبرير ..لم تصرخ كالمرة السابقة ..فالان يوسف ليس معها .. الى من ستحاول التبرير!! ..وبماذا سيفيد الحديث الان ،لقد انتهى كل شيء تخلى عنها الجميع حتى انها لم تستطع تعيين محامى...ليتها فعلت شىء لمثل هذا اليوم...ليتها احتفظت بمن تستعين به وقت حاجتها...ليتها تفيق من كل هذا....

عادت مرة أخرى الى مكان حبسها ولكنها في تلك المرة لم تحاول المقاومة ، انزوت في احدى اركان الغرفة في سكونٍ تام لا يتحرك شىء فيه سوى تلك الدموع التى تطلقها حتى لا تختنق بداخلها ...تطلقها لترى مصير صاحبتها فلربما تجد من يرأف بحالها..أمضت ليلتها كالسابقة حتى داهمها النوم فهو خير سبيل لها للهروب من تلك العتمة.

ـــ قومى في ليكي زيارة

كان هذا هو صوت الشرطى الذى فتح الباب ليدخل الضوء الى الغرفة فيوقظها...قامت منتفضة وتهللت اسارير وجهها وقالت:

ـــ يوسف؟؟؟

ابتسم الشرطى ابتسامة ساخرة وقال:

ـــ لا ياختى ده المحامى... يلا انتى هتقفي تحَكّى

عاد العبوس لوجهها مرةً أخرى وذهبت معه بخيبة أمل ويأس...حتى أنها لم تأبه لأمر المحامى .

دخلت سلمى الى الغرفة لتجد رجلاً في مقتبل العمر يرتدي نظارة وتضح على وجهه علامات الجدية وما إن رآها حتى نظر إليها يتفحصها ليجد فتاة في العقد الثانى من عمرها لا يحتاج من يراها لامعان النظر حتى يستطيع ملاحظة جمالها فكيف لتلك الفتاة البريئة ان ترتكب جرمًا كهذا!! ... قام من مجلسه بسرعة ومد له يدها ليصافحها قائلا:

ـــ صباح الخير يا أنسة سلمى...معاكى المحامى معتز

نظرت له سلمى بعدم اكتراث ولم تبالى بتلك اليد الممتدة نحوها ثم سحبت الكرسي المواجه له وجلست دون ان تتحدث.

سحب المحامى يده على الفور وابتلع ريقه ثم جلس في هدوء وبدأ حديثه :

ـــ أنسة سلمى...ممكن تتكلمى معايا بوضوح وتحكيلي عن تفاصيل القضية عشان أقدر أساعدك؟

لم تبالى سلمى بما قاله ...أمسكت ببعض خصلات شعرها الاسود الناعم وأخذت تعبث به دون ان تجيب فأردف المحامى قائلا:

ــ سكوتك ده مش من مصلحتك معاد جلستك اتحدد ولازم نحاول نعمل اي حاجة في اسرع وقت.. انتى عارفة عقوبة القتل ايه ؟

ـــ.....

ـ يا انسة سلمى احكيلي تفاصيل الحادثة، الجريمة حصلت في عقر دارك بس تقرير الطب الشرعى في مصلحتنا يعنى عندنا فرصة

ـــ.....

ــ شكلك أعصابك تعبانة، انا هسيبك انهاردة وهعدى عليكي بكرة تكونى هديتي ونعرف نتكلم.

أتم المحامى جملته وهم بالنهوض وقال : مع السلامة

إنتهت الزيارة وعادت سلمى مرة أخرى الى مكان حبسها ومر اليوم دون شىء يذكر ، وفي اليوم التالى جاء المحامى لزيارتها مرة اخرى ولكن الزيارة انتهت دون ان يصل إلى عقاد نافع ، اكتفي بتقرير الطب الشرعي وبعض المعلومات التى استطاع جمعها عن القضية .... حتى حانت موعد الجلسة.

في اليوم المحدد تم اصطحاب سلمى الى المحكمة ، جالت بنظرها في ارجاء المحكمة تبحث عن شخص تعرفه فلم تجد سوى عمّها الذى جاء بصحبة المحامى ليتدفق سيل الاتهامات نحوها وجاء المحامى الموَكّل لها ومعه ما استطاع ان يجمع عن القضية وبدأت الجلسة .....

في الواقع لم تهتم سلمى بما يحدث من مرافعات ودفاعات وهجوم ...ظلت تنظر الى المحامى الذى وكَّله عمّها وهو يوجه

سيل الاتهامات نحوها ثم شعرت بالشفقة على المحامى معتز فكيف له أن يصمد امام تلك العاصفة ....أغمضت عينيها لتحاول حبس دموعها وتمنت لو تستطيع الاختفاء في تلك اللحظة ....تمنت لو ذهب الله بسمعها وبصرها قبل ان تشهد تلك اللحظة ...حتى انتهت المرافعة وختم القاضي جلسته بالحكم :

ــ تستأنف القضية في التاسع من شهر ديسمبر وترحّل المتهمة سلمى وائل رشدي إلى سجن النسا بالقناطر حتى موعد الجلسة القادمة

زوت سلمى فمها وقالت تحدث نفسها:

ــ شكله محامى شاطر.. أنا قولت بعد الوش اللى صدرتهوله ده مش هيكفيه فيا اعدام...بس هو عرف كل الحاجات دى عنى منين!!.

انتهت الجلسة وتم اصطحاب سلمى الى سيارة الشرطة وبعد مرور بضع ساعات كانت قد وصلت الى مقر حبسها الجديد .

بعد اتخاذ بعض الاجراءات جاءت السجانة لاصطحابها الى غرفة الحبس،كان المكان مختلفًا بعض الشي فهو مكان تدب فيه الروح ..ترى أناس يتحركون ذهابًا وإيابا يترامى على سمعها بعض الضحكات من داخل الغرف..رأت كيف تعامل السجانات السجينات وكيف هم يردون المعاملة ..مجرد تفكيرها بأنها الان أصبحت تنتمي الى هؤلاء الناس وهذا المكان يجعل غرورها وكبرياؤها ينزف..إنها رغم كل ما ارتكبته من أفعال

بشعة لم تنظر لنفسها يومًا على انها مذنبة..رغم انها تعلم جيدا ان الجريمة التى اعتقلت بسببها تُعَد أهون الجرائم التى تستحق العقاب عليها ورغم ذلك تشعر بأنه لا يليق بفتاة مثلها بأن يوجّه لها إصبع الاتهام فكيف لها ان تكون هنا!!

ــ امسكى الهدوم دى وادخلى غيري في الحمام ده وانا واقفة مستنياكى هنا

نظرت سلمى الى تلك الملابس تتفحّصها...حتى ملابسها التى كانت تشعرها بالتميز وسط هؤلاء القوم ستزول...كل ما يفصلها عن هذا المكان تبدد..الان لا تستطيع ان تنطق بكلمة واحدة او تحاول الاعتراض ....

ـ ما تنجزى ياختى انتى هتقفي تتفرجى عليّا كده كتير

أفاقتها تلك الجملة من حيث كانت فتناولت بسرعة الملابس ودخلت الى الحمام ، لم تستطع تحمل منظره البشع ورائحته الكريهة وطلائه الذى عفا عليه الزمن.. ارتدت تلك الملابس البيضاء التى تشبه أكفان الموتى ونظرت في بقايا تلك المرآة التى يبدو انها عانت كثيرا لتحتفظ بمكانها وأخذت تحدث نفسها :

ـ يااااه بقي بعد كل اللبس الغالى اللى لبستيه والفساتين الماركات بقي ده حالك!! خلاص!! راح الخروج والفسح واللبس والنوادى!! خلاص كدة!!

نزلت دمعة يتيمة من عينها مسحتها سريعًا قبل ان تخرج الى السجانة التى تنتظرها بفروغ صبر وأخيرًا.. وصلت الى غرفتها... وما ان فتحت السجانة الباب حتى قالت : بقولك ايه انتى وهى البت دى هتقعد هنا معاكوا مش عايزة اسمع صوت من واحدة فيكوا ولو عملتوا معاها زى اللى فاتت هخلي نهاركوا اسود سامعين؟؟ فأجابتها احداهن بضحكة مألوفة لدى البعض وقالت: ياعينى البت شكلها لسة عضمها طرى مش هتتعبنا...خلاص كدة متخافيش عليها،تعالى يا حلوة..خشي برجلك اليمين

ادخلت السجانة سلمى واغلقت الباب.

التفتت تلك الفتاة الجميلة حولها لتجد نفسها وسط أناس غريبوا الهيئة بالنسبة لها وكانت أعينهم تتطلعها وتتفحصها حتى كادت ان تخترقها.. ذلك الشعر الاسود الناعم والعينان السوداوان الواسعتان وتلك البشرة البيضاء الناعمة التى تنم على ان صاحبتها لم ترى شقاءًا قط فما الذى بعث بها الى هذا المكان!!!! كانت تلك التساؤلات هى ما دارت في أذهان هؤلاء

السيدات التى لم تتوقف اعينهنّ عن تفحص الفتاة منذ دخولها حتى انزوائها في احد اركان الغرفة فبادرت احداهن بالسؤال: وانتى بقي يا حلوة ايه اللى رماكى الرمية السودة دى؟؟ اداب!! رمقتها سلمى بنظرة غاضبة متعالية بعد ان مسحت دموعها سريعا وقالت : أنا اصلا مش قاعدة هنا كتير ده مجرد سوء تفاهم بسيط ،فتعالت اصوات الجالسات بالضحك وقالت اخرى : كلنا والله يا حبيبتى اول ما دخلنا كنا بنقول كدة بس متخافيش هتاخدى على المكان بسرعة بس تصدقي حظك حلو لسة ناقلين واحدة من هنا امبارح عقبال عندك كدة خلصت مدتها وخرجت كانت محبوسة في قضية نصب حاجة بسيطة يعنى وفرشتها جديدة اهى ابقي نامى عليها ، نظرت سلمى الى ذلك السرير تتفحصه باشمئزاز شديد ثم جالت بنظرها في هذا المكان فوجدته لا يختلف كثيرًا عمّا قبله ولم تنطق بكلمة واحدة او تتحرك من مكانها .

وبعد مجادلات وجذب وشد من النساء المتشاركات معها في الغرفة، البعض لم يعرها اهتماماً والبعض الاخر لم تكن لديهن سيرة سواها حتى حان موعد الغداء .

فتحت السجانة الباب ونادت على المسجونات للتوجة الى قاعة الطعام فتوجه الجميع الي الباب عدا سلمى ، توجهت اليها السجانة قائلة: انتى مسمعتيش

اجابتها سلمى : مش جعانة ....نظرت لها السجانة بنظرة شفقة وسخرية ثم قالت: خلاص براحتك بس هنا الاكل بمواعيد مش زى بيتكوا يا حبيبتى مش وقت ما تجوعى هتلاقي اكل ....لم تعرها سلمى اهتماما بينما قامت الاخيرة باغلاق الباب لتحجب اصوات النساء الاتى اخذت تتمتم كل منهن بما يطيب لها من النميمة .

قامت سلمى من موضعها واتجهت الى السرير الذى اصبح مخصصاً لها الان وجلست عليه في انكسار جاهدت بشدة في اخفائه عن اعين تلك النساء الغريبات الاطوار والتى سرعان ما قامت بوضعهن في قائمة المحظورات بالنسبة لها ...أطلقت العنان لافكارها تصول وتجول تسترجع احداث الحادثة مرت تلك العشرون سنة امام عينيها مرت تلك السنوات التى ظنت لوهلة انها عاشتها كما ينبغي لها ان تُعاش وكأنها سراب كانت تحاول اللحاق به، تذكرت ابيها وهل سيكلف خاطره بالنزول الى مصر لانقاذها.....تذكرت والدتها واخيها اللذين لم تراهما منذ وقتٍ طويل ماذا سيفعلون عندما يسمعون بالخبر؟ هل

سيقفون معها في هذه الفاجعة ؟ ولكن كيف بعد كل ما فعلته بهم؟ كيف سيسامحونها ؟ وان سامحوها وساندوها كيف هى ستجد لنفسها مبررًا تغفر به لنفسها خطاياها؟ ان لم يساعدوها فسينتهى امرها إما بالمؤبد او بالانتحار وان ساعدوها فكيف ستتحمل الحياة مع عذاب الضمير بعد كل ما فعلته بهم ورغم ذلك لم يتخلوا عنها....كيف ستتحمل رؤيتهم....انها تعلم جيدا ان والدها لن يفكر حتى في الامر..تعلم جيدا انه ما ان يعلم بما حدث حتى يلوذ بالفرار وينجو بنفسه بعيدًا...وماذا عن يوسف؟! هل هذه هى النهاية؟؟ لم ترد حتى ان تفكر في الامر حركت راسها يمينا ويسارا بسرعة وكانها تريد بذلك طرد الافكار من رأسها.. وكأنها تريد ان تفيق من هذا الكابوس البشع...تمنت في تلك اللحظة انها لم تولد تمنت لو انها كانت رمادًا يتبدد مع الريح...لو انها كانت كوب ماء فينسكب وتبخره أشعة الشمس...تمنت وتمنت...ولكنها... ظلت أمنيات.

مر الوقت بطيئًا جدًا الثوانى ساعات والساعات دهرًا... مر كسلحفاة مكبلة الاقدام .. حتى غلبها النعاس ولم تفق الا في صباح اليوم التالي على صوت السجانة التى جاءت لايقاظهن.. فركت عينيها واعتدلت في جلستها وما إن خرجت السجانة حتى جائها صوت احداهن: اهى السنيورة صحيت اهى ، فتعالت اصواتهن بالضحك وقالت اخرى : ايه يا حلوة مش

هتقوليلنا بقي ايه اللي رماكى علينا وقالت ثالثة : كنا هنجبلك الفطار لحد عندك عشان منتعبكيش بس قولنا يمكن عاملة دايت... ثم اكمَلن سيمفونية الضحك التى لم تعد تحتمله ، ولكنها ادركت جيدًا انها لن تستطيع الثبات امامهن في تلك اللعبة التى يبدو انه لم يسلم منها احد فآثرت مجاراتهم في الحديث قائلةً:

ــ هى الساعة بقت كام دلوقتى؟

أجابتها الاولى :

ــ الساعة 7 يا حبيبتى معلش بقي قلقوكى بدرى اصلهم ميعرفوش مواعيدك...الا انتى اسمك ايه يا شاطرة؟؟

أجابتها بأنفه وغرور وكأنها تريد اخبارها بذلك أنه لا يعنى تواجدهما في نفس المكان أن لهما نفس المكانة :

Computer sienceــ اسمى سلمى ، في تالتة

ــ اه انتى بقي يا حلوة من بتوع المدارس والحاجات الحلوة دى... طب لما انتى بنت ناس كدة جيتي هنا ازاى؟

شعرت سلمى بالاضطراب إثر هذا السؤال فهى لا تعلم ماذا تقول ..هذا الكبرياء بداخلها يمنعها من الاعتراف بأنها مجرمة فكيف لفتاة جامعية مثلها تعيش حياة مرفهة يتهافت الجميع لنيل الرضي منها أن ينتهى بها الحال وسط هؤلاء السجينات،

ترفض ان تعترف أنها لا تختلف عنهنّ كثيرًا ففي النهاية لا فضل لاحداهنّ على الآخرى ثم تمالكت نفسها ورفعت رأسها في غرور لم يستطع شيء مما حدث ان يكسره حتى الآن..
وقالت وهى تنظر في عينيها بصلابة ينكرها هذا الوجه الملائكى :
ـــ قضية قتل... قتلت ابن عمى
نظرت السيدات لبعضهنّ في دهشة قطعتها صوت السيدة السائلة لتبوح بسببها :
ـــ بقي انتى تقتلى...بس ميبانش عليكي خالص انا قولت اخرك اداب مثلا، مخدرات ، سرقة ، انما قتل!! بصراحة فاجئتيني ده احنا شكلنا هيبقي لينا كلام مع بعض كتير...انا بقي المعلمة دريّة... احفظى الاسم ده كويس اوى عشان انتى دخلتى دماغى .
ابتسمت سلمى ابتسامة النصر وقالت :
ـــ ياريت ...بس للاسف انا مش مطوّلة هنا هى بس الحكاية كلها شوية وقت.
انهت سلمى جملتها وهى تهم بالنهوض من الفراش لتتجه نحو باب الغرفة وتنادى على السجانة لتطلب منها الذهاب الى المرحاض ...بينما كانت تتبعها نظرات المعلمة دريّة بمزيج من السخرية والغضب .

مر اليوم الاول والثانى وتتابعت الايام حتى مر الاسبوع الاول من وجودها بالحبس لم يزرها احد...لا تعلم شيء عن يوسف..ترى..هل خرج؟؟ ماذا يفعل الان ؟؟ هل علمت والدتها بما حدث؟؟ وماذا قالت؟؟ لماذا لم ينزل والدها الى مصر؟؟ لماذا لم يبعث حتى بمحامٍ؟؟ لم يتبقي سوى شهر على موعد جلستها؟؟ ماذا ستفعل ؟؟ الايام تمر ببطيءٍ شديد ...انها تحاول التظاهر بالقوة أو بالاحرى يفرض كبرياؤها عليها ذلك ..تتظاهر بعدم المبالاة رغم انها تحترق من الداخل ...تتظاهر بأنها ليست نادمة على ما آلت اليه الامور ولكنها في الحقيقة تلعن اليوم الذى بُعِثت فيه الي الحياة... حتى دخلت السجانة في ذلك اليوم ونادت :

ــ سلمى وائل رشدى... زيارة من المحامى.

قامت سلمى متثاقلة الخطى ، كم تمنت ان يزورها احد اقاربها كالجميع ..كم تمنت لو كانت والدتها...لو كان أخيها...لو كان...يوســـــف..ولكن في النهاية الامر ليس بذلك السوء فيكفي أن المحامى معتز جاء لزيارتها...على الاقل هناك من يهتم او بالاحرى ..من توجبه مهنته على الاهتمام.

دخلت الغرفة وانصرفت السجانة ، رفعت بصرها من الارض لتنظر امامها و..... ياإلهى هل يعقل أن يكون هو؟؟؟؟ فركت عينيها جيدا لتحاول التأكد من صحة ما تراه انه نفس الوجه

الخمرى...نفس العيون البنية الفاتحة...نفس اللحية السوداء الخفيفة... انه يوسـف...لطالما غرقت في تلك العيون الساحرة ..لطالما تأملت تلك الملامح التى أشعرتها ولأول مرة بمعنى الحياة.. لم تستطع تصديق عينيها فاندفعت نحوه بسرعة تريد ان تحتضنه بشدة تريد ان تخبره كم افتقدته...كم كانت تعانى بدونه ولكن....سرعان ما اوقفتها تلك اليدان الباردتان التى ما ان لمستها حتى إقشعرّ بدنها إثر برودتهما وتسمّرَت مكانها وقالت:

ــ يوسف هو أنا موحشتكش!!

ــ أنا معنديش وقت للكلام اللى زى ده وبعدين انا مش جاى هنا بصفتى يوسف..انا جاى هنا لانى استلمت القضية دى

ــ امال فين المحامى معتز وإزاى استلمت منه القضية ؟؟انت اللى طلبت ولا هو اللى طلب توكيل القضية دى لحد تانى؟؟ وبعدين انت خرجت امتى!!

ــ أعتقد ان دى تفاصيل مش هتفرق معاكى كتير!!!

ــ يوسف انا.....

ــ مش عايز تبريرات بعد اللى قولتيه في المحضر وبعد اللى قاله عمك..ومتفتكريش انى جاى هنا عشانك انا جاى عشان اردلك الدين اللى انتى شيلتيهولى بالاسم بس.

ـ قصدك ايه؟؟ انت شاكك انى قتلته عشان اخلص منه مش عشان كان هيقتلك؟؟

ـ متحاوليش تمثلي دور الملاك ده عشان مبقاش لايق عليكي ايًا كان السبب انا هعمل بأصلي معاكى واعمل نفسي مصدق بس قبل ما أسمع منك أى كلمة انا عايز عنوان مامتك واخوكي.

ـ ماما اللى من ساعة ما دخلت السجن مفكرتش تيجي تزورنى وانا بطنى بتتقطع من أكل السجن؟؟ولا أخوية اللى ميعرفش حتى انا عايشة ولا ميته؟؟؟

ابتسم يوسف ابتسامة ساخرة تبعتها تنهيدة عميقة ثم أسند رأسه الى الخلف وقال:

ـ قولتلك بلاش الدور ده عشان مبقاش لايق عليكي ...ثم اعتدل في جلسته ونظر مباشرةً في عينيها وتابع حديثه:

ـ قبل ما أسمع منك اى تفاصيل عن الحادثة أحب اسمع رأى مامتك الاول في الموضوع ايه..ثم ابتسم بمكر وقال: ولا انتى خايفة ماما الشريرة تلفقلك تهم؟؟؟

ارتبكت سلمى إثر ما سمعته وحاولت لملمة حروفها المبعثرة وقالت:

ـ ايه علاقة دة بالقضية ماما مكانتش موجودة وقت الحادثة وانت عارف انى بقالي سنين مشوفتهاش، هتساعدك في ايه؟؟

همَّ يوسف بالنهوض وقال :
ــ شكلك هتتعبيني وانا بصراحة بتلكك عشان أخلع من القضية وكنت مستنيها تيجي منك ....
امسكت بيده سريعًا وقالت في ذعر :
ــ لا استنى خلاص هديلك العنوان
زوى يوسف فمه بمكرثم عاود الجلوس مرة أخرى في حين كانت تكتب هي العنوان وتضيف بعض الملاحظات:
ــ اسمها سماح ...هتلاقى المكان قديم شوية بس هتدخل جوة هتلاقي عمارات نضيفة روح العمارة اللى كتبتلك رقمها واسأل البوّاب على الدور ورقم الشقة.
أخذ يوسف الورقة ثم تركها ونادى على الحارس معلنا انتهاء المقابلة فجاء لاصطحابها وعادت مرةً أخرى الى غرفتها.
في عصر اليوم التالى كان يوسف قد وصل إلى العنوان المطلوب :
ــ لو سمحت...هى مدام سماح ساكنة في العمارة دى؟؟
ــ لا يا أستاذ مدام سماح عزلت من زمان
انزعج يوسف من هذا الخبر ..يبدو أنه لن يصل الى ما يريد بتلك السهولة ولكنه اتبع قائلاً:
ــ طب متعرفش أوصلها ازاى؟؟
ــ لا والله معرفش عنوانها الجديد

ـ طب شكرًا يا حاج ..مع السلامة
قالها يوسف وهو يدير ظهره للانصراف قبل ان يوقفه البّواب سريعًا :
ـ استنى يا أستاذ انا نسيت اقولك حاجة مهمة
التفت اليه يسوف بسرعة وقال :
ـ ايه لقيت عنوانها؟؟
ـ لا، بس هى مباعتش شقتها اللى هنا دى أجرتها لناس كويسين أوى وأكيد هما معاهم عنوانها
ـ ايه ده بجد !! طب ما تقول كدة من بدرى يا حاج بدال ما انت نكدت عليّا ..قولى بقي رقم الشقة وفي الدور الكام
ـ لمؤاخذة يا باشا انت عارف السن بقي اصل انا شغال هنا من زمان أوى من ساعة ما الست سلمى الصغيرة كانت ساكنة هنا منّه لله بقي أبوها خد البت وساب أمّها كانت هتموت عليها بس مش عارف خد البنت وساب الواد ليه يلا بقي مش عايزين نجيب في سيرة الناس....إلاّ أنت مقولتليش هو حضرتك تطلع مين؟؟!!
ضحك يوسف بعفويّة وقال:
ـ ده انت حكيتلي تاريخ العيلة كلها و لسة فاكر تسألنى انا مين ..على العموم أنا صديق قديم بس كنت مسافر ومعرفش انهم عزلوا هات العنوان بقي

ـ ايه ده معقولة كدة...لا ميصحش خالص تبقي صديق ويخبوا عليك حاجة زى دى على العموم أنا مليش دعوة أصلي مبحبش أدخل في خصوصيات حد اطع الدور الرابع شقة 8 زمان جوز المدام جه دلوقتى بس الحقه بقي قبل ما ينزل يروح القهوة أصله بيجي من الشغل يلاقي.....

ـ خلاص يا حاج الله يكرمك ...ده انت على ما تحكيلي هيكون الراجل جه ومشي

ثم تركه سريعا ليصعد وهو يحدث نفسه قائلاً:

ـ يعنى مامتها مطردتهاش زى ما قالتلى...لسة معملتش حاجة واكتشفت أول كدبة ربنا يستر.

ضغط يوسف على زرّ الجرس ففتحت له سيدة في منتصف العمر الباب ونظرت له في دهشة:

ـ مين حضرتك؟؟

ـ لو سمحتى مش دي بردو شقة مدام سماح؟؟

ـ سماح مين!!

ـ مش حضرتك بردو مأجرين الشقة دى.....

قطعه صوت قادم من الداخل :

ـ مين اللى على الباب يا سعاد؟؟

ـ طب ثوانى حضرتك

تركته على الباب ودخلت لتخبر زوجها:

ــ معرفش واحد جاى يسأل على واحدة اسمها مدام سماح، انت متجوز عليّا ولا ايه؟ قام الرجل من أمام التلفاز وهو يقول:
ــ لا إله الاّ الله..انتى على طول نيتك سيئة كدة، دى صاحبة الشقة اللى احنا مأجرينها خليكي هنا وانا هطلع أشوف مين ده
ذهب الرجل الى الباب ونظر الى يوسف باستغراب وقال:
ــ مين حضرتك؟؟وبتسأل على مدام سماح ليه؟؟
ثم انتبه الى أنه لم يعرض عليه الدخول فافسح له ليدخل وقال:
ــ أنا اسف يابنى...اتفضل ادخل..الشاى يا سعاد
شكره يوسف على لطفه ودخل معه ليجلسا في الصالون وبدأ حديثة قائلاً :
ــ والدتى صديقة مدام سماح وكنا مسافرين من فترة طويلة وأول ما رجعنا جيت عشان اسأل عليها بس البواب قالى انها عزلت ولما سألته على العنوان قالى انه ميعرفهوش بس قالى ان في ناس مأجرين الشقة ممكن اسالهم عليه
أطرق الرجل هنيهة ثم قال:
ــ طيب انتوا مش معاكم رقمها ؟؟
ارتبك يوسف قليلاً قبل أن يجيب :
ــ أصل احنا مسافرين من زمان كان معانا رقمها القديم كنا بنكلمها عليه قبل ما تغيره بس جت فترة متكلمناش ولما جينا نتصل عليه كانت غيرته

ـ طب بص يابنى اعذرنى أنا مش هقدر اديك العنوان بس ممكن أديك رقمها أصل دى بردو خصوصيات و أنا مش من حقي أتصرف من دماغى..بس انت مقولتليش الاول اسمك ايه؟؟

ـ أنا يوسف...وأكيد طبعا ياعمى ده حقك..خلاص اديني الرقم وانا هكلمها

أخرج يوسف هاتفه من جيبه ليسجل الرقم ثم همَّ بالنهوض فقاطعه الرجل:

ـ طب استنى اشرب الشاى

ـ معلش أنا اسف بس ورايا حاجات كتيرة اوى..وأسف على الازعاج.

ـ لا ابدًا مفيش ازعاج ولا حاجة ..أهلا بيك في أى وقت

أتم الرجل جملته وهو يوْصِل يوسف الى الباب الذى كان يفكر في ذلك المأزق الذى وضع نفسه فيه...يجب أن يُسرع بالاتصال بها قبل أن يتصل بها هذا الرجل ليخبرها بما حدث ، كيف لم يفكر في مثل هذا الامر قبل أن يتسرَّع هكذا، بالتأكيد ستتعجب وتخبره بأنها لا تعلم أحد بهذا الاسم أو انها ليس لديها أصدقاء في الخارج، جلس يوسف في سيارته الصغيرة ونظر طويلا الى الشاشة يفكر في ما سيقوله ثم حسم أمرة وضغط على زر الاتصال...لم ينتظر طويلا قبل ان تجيبه :

ــ السلام عليكم
ارتبك يوسف ما إن سمع صوتها ونسي ما كان سيقول فأتبعت :
ــ الو...مين معايا؟؟
رد يوسف سريعا خشية أن تُغلق الخط وقال:
ـ الو...مدام سماح معايا؟؟
ــ أيوة انا...مين حضرتك؟؟
ــ أنا...أنا حد من طرف بنت حضرتك سلمى
احتد صوت السيدة وأجابته بحزم :
ــ أنا معنديش بنات ومعرفش حد بالاسم ده الظاهر ان النمرة غلط سلام
ــ استنى بس حضرتك...متقفليش...أنا كنت عايز أقولك...ألو... الو
عاود يوسف الاتصال مرة أخرى فلم تجيب..استمر في المحاولة ولكن دون فائدة ، القي بالهاتف على الكرسي المجاور وأدار المحرك وانطلق في غضب :
ــ طب اعمل ايه دلوقتى ...ما انا لازم اقابلها..انا هفضل وراها لحد ما ترضي

عاد يوسف الى المنزل..فتح الباب واتجه نحو غرفته ورأسه مثقل بالهموم مئات الافكار تدور في ذهنه حتى انه لم ينتبه الى صوت والدته التى تقول :

ــ انت جيت يا يوسف..بردو روحتلها مفيش فايدة..يوسف انت مبتردش عليّا ليه

انتبه أخيرًا الى والدته التى تحدثه فقال لها :

ــ هاه...انتى بتكلميني؟؟ معلش يا أمى مخدتش بالى

ــ طبعا وانت هتاخد بالك إزاى ...منها لله...أقول فيها ايه بس ياربي ...ياما قولتلك البنت دى ابعد عنها انا مش مستريحالها بس انت مفيش فايدة فيك اللى في دماغك في دماغك

ــ سيبيني في حالى دلوقتى يا أمى انا تعبان وعايز أنام

ضربت والدته كفًا بكف وظلت تتمتم :

ــ من يوم ما جت مشوفناش منها غير المصايب حال الواد اتقلب حسبي الله ونعم الوكيل فيكي يا شيخة ،حتى بعد ما بعدتى عننا لسة مصايبك ورانا

تركها يوسف لتكمل وصلة الدعاء والشكوى التى لن تنتهى ودخل غرفته ليغير ملابسة ثم اتجه الى الحمام ليغتسل وخرج ليلقي ببقايا جسده على السرير لا يعلم فيم يفكر...قلبه ينزف من الالم...أين ذهبت تلك الفتاة التى أحبها بكل ما فيه من قلبٍ وروح...ما الذى يحدث الان..لقد مضي اكثر من عشرة ايام

على الحادث ولا زال لا يصدق...كيف استطاعت ان تخدعه طوال تلك المدة...كيف صدَّق ذلك الصوت الملائكى الذى لم ينطق بكلمة واحدة صادقة...كيف استطاع ان يسبح في عينيها دون ان يلاحظ المكر الساكن بداخلهما ..ليته استمع الى كلام والدته...ليته يستطيع ان يكرهها بعد كل ما حدث ...قطع افكاره صوت طرقات الباب لتدخل عليه والدته وتقول :

ــ ايه يابنى مش هتتعشي؟؟

ــ لا يا أمى مش جعان أنا هنام

ــ يابنى انت بتوجع قلبي عليك ليه طول النهار في الشغل ومن غير اكل ..حرام عليك نفسك

ـ يا أمى متقلقيش انا أكلت بره قبل ما اجى

ــ خلاص يابنى اللى يريحك...تصبح على خير.

استيقظ يوسف في صباح اليوم التالى على صوت جرس المنبه فى تمام الساعة السابعة ...نهض بخطواتٍ متثاقلة واغتسل وبدل ملابسه ثم خرج لتناول الافطار مع والدته...تناوله على عجل ونهض سريعا حتى لا يتأخر.. ودّع والدته ثم ذهب، وما إن ركب سيارته حتى امسك بهاتفه مرةً أخرى وحاول الاتصال فلم تجبه ...واصل المحاولة حتى أتته الرسالة المسجلة :

ــ الهاتف الذى تحاول الاتصال به ربما يكون مغلقًا او غير متاح

أنزل يوسف الهاتف من على أذنه وقال:

ــ انتى كدة مسبتيليش غير حل واحد... مكنتش حابب الموضوع ييجي كدة بس مفيش وقت عشان استنى اكتر من كدة.

وأخذ يكتب رسالة نصّية لم تحتوى سوى على جملة واحدة :

" بنتك في سجن النسا بالقناطر "

ثم وضع الهاتف على الكرسي المجاور وأدار المحرك وقال :

ــ انا واثق انها أول ما تقرأ الرسالة دى هتتصل

ذهب يوسف الى مكتبه بعد ان سأل موظفة الاستقبال إذا كان احد قد سأل عنه في غيابه ثم طلب من الساعى أن يُدخِل اليه كوب قهوة وجلس في مكتبه..حاول التوقف عن التفكير بالانشغال في العمل ولكن دون فائدة..لقد كان ينتظر تلك المكالمة بشدة فهو يعلم انها ستتصل..مر الوقت ببطءٍ شديد فما أبطأ تلك اللحظات التى نكون فيها بانتظار شىء هام ولكن يبدو أن ظنه قد خاب فقد انتهى وقت العمل دون ان يحدث شىء ..كانت الساعة تقترب من الخامسة ولم يكن في مزاجٍ يسمح له بالدخول في جدال مع والدته وشجارات لعدم تناوله العشاء معها وارهاق نفسه في العمل دون طعام فآثر الذهاب الى إحدى

المقاهى ليجلس فيها وحيدا فقد أصبح يعشق الوحدة حديثًا...ذهب الى المقهى الذى اعتاد الجلوس فيه معها وجلس على نفس الطاولة وطلب نفس المشروب الذى تحبه وأخذ يسترجع تلك الذكريات.....

ــ سلمى انتى ازاى اهلك سايبينك تعيشي كدة لوحدك؟؟

ــ فين اللى لوحدى ده ما انت معايا اهو ولا انت مش كفاية

ــ اكيد طبعًا يا حبيبتى وهفضل معاكى على طول بس ازاى مامتك وباباكى يسيبوا القمر ده يعيش لوحده هما مش خايفين عليكي!!

ــ وهما فين اهلى دول ماما وبابا إطّلّقوا من زمان وماما خدت مصطفي ورجعت على مصر وانا فضلت مع بابا في الكويت كملت تعليم هناك ونزلت هنا عشان الجامعة وبابا شغله كله هناك مينفعش ينزل مصر

ــ طب مروحتيش تقعدى مع مامتك ليه

ــ مهو...اصل..خلاص بقي يا يوسف مش عايزة افتكر

ــ تفتكرى ايه؟؟

اجابته بدمعة مصطنعة جاهدت كثيرًا لانزالها ولم يلحظ ذلك حينها :

ــ اصل ماما مش عايزانى..لو كانت عايزانى خدت أخوية وسابتنى انا وبابا ليه لوحدنا بقي في ام في الدنيا تهون عليها

بنتها كدة...دى مفكرتش حتى انا عايشة ازاى ولا بعمل ايه وعاملة ايه
تألم يوسف لألم حبيبته التى لم يجرؤ قط على عدم تصديقها او حتى التفكير في الامر ومسح دمعتها بيديه الدافئتين وقال :
ــ خلاص يا حبيبتى متزعليش..انا اسف انى فكرتك اعتبريني انا كل اهلك وانا خلاص دى اخر سنة ليا في الجامعة اول ما اخلص هخطبك وهعوضك عن كل حاجة وحشة عشتيها اوعدك انك مش هتتوجعى تانى ابدًا
ــ ربنا يخليك ليا يارب وميحرمنيش منك ابدًا..عارف يا يوسف انا بحبك اوى انا حياتى من غيرك مكانش ليها معنى..انت اجمل هدية ربنا بعتهالى...
عاد يوسف الى ارض الواقع وبداخله شفقة كبيرة على حاله الذى وصل اليه لا يصدق كيف استطاعت ان تخدعه براءتها وهو الذى كان يعتقد أنه خبير بتصنيف البشر والحكم عليهم ولكنه الحب...الحب الذى يسلبنا عقولنا وأعيننا ويضع الغشاوة على قلوبنا...الحب الذى يحوّلنا الى أناس اخرين لا نعرف عنهم شيء ..كم يشتاق اليها ...كم يتمنى ان يذهب اليها ويبكى بحرقة بين يديها ويرجوها ان تعود وسينسي كل ما حدث...يطلب منها ان تخبره فقط ان هذا كله كابوس ولم يحدث شيء وسيصدقها في الحال...يريدها أن تمسح على جرحه

وسيُشفَى في الحال...يريد أن يضمهاإلى صدره لتطفىء لوعته... عاتب يوسف نفسه على تفكيره بهذه الطريقة ثم انتبه الى ان الوقت قد تأخر كثيرًا، أمسك هاتفه لينظر الى الساعة فوجدها تقترب من العاشرة..ما أسرع تلك اللحظات التى نكون فيها سعداء حتى وان كانت سعادة مؤقته ..حتى وان كانت مجرد ذكريات...وكأن الزمن يبخل علينا بها وكأنه يشتعل حقدًا عندما يرانا سعداء.. ترك الحساب وهمَّ بالنهوض فسمع صوت هاتفه يرن ..أخرج هاتفه من جيبه ليفاجأ بها تتصل :

ــ يااااه أخيرًا ..ثم ضغط على زر الاجابة سريعا وحاول التظاهر بالهدوء :

ــ الو

ـ لو سمحت فهمنى ايه اللى انت باعته ده...مش اى حاجة ينفع الهزار فيها..هو عشان رفضت اكلمك تقوم قايل على البنت كدة..حرام عليكوا بقي ارحمونا

وكأن تلك الكلمات كانت الخنجر الذى جاء ليتأكد أن القتيل لن تقوم له قائمة أبدا.. حاول ايقاف النزيف..او على الاقل اخفائه عن اعين تلك الام المفجوعة وأجابها بما تبقي له من صوت :

ـ انا اسف جدًا والله...مكنتش عايز اقولك الخبر بالطريقة دى لكن كان غصب عنى مكانش ينفع استنى اكتر من كدة

جاءه صوتها الباكى النائح :

ـ بنتى جرالها ايه؟؟ بنتى مالها؟؟ قولى انك بتهزر متلعبش باعصابي ارجوك انا مش مستحملة.

ـ ممكن تديني عنوان حضرتك وانا هاجى افهمك كل حاجة ؟

ـ طيب مينفعش نتقابل في مكان برة؟؟

ـ هيكون افضل لو في البيت

ـ طيب ...العنوان هو.....

أخرج ورقة وقلم من حقيبته ليسجل العنوان ثم قال :

ـ بكرة الساعة 6 كويس؟؟

ـ طب ممكن نخليه بدرى شوية؟؟ يعنى على 2 كدة مثلاً؟؟

ـ امممم خلاص اتفقنا هخرج بدرى من الشغل بكرة

ـ معلش يابنى بس انا مش عارفة هقول لاخوها الموضوع ازاى ..عشان كدة انا عايزة المقابلة تكون وهو مش موجود ، في الوقت ده بيكون في الدرس

ـ اكيد طبعا أنا مقدر موقفك ..خلاص اتفقنا

ـ ماشي يابنى ...مع السلامة

انهى يوسف المكالمة بعد ان اعتصرت قلبه من الالم، فكيف هانت عليها والدتها بتلك الطريقة البشعة ، أهذه هى الام التى تركت ابنتها مع والدها وحدها وذهبت !! اهذه هى الام التى اتهمتها بالقسوة والجحود!!وما الذى يدفعها الى الادعاء بكل هذا!!

لقد أراد أن تكون المقابلة في منزلها ليرى كيف تعيش هذه الام وكيف هى حياتهم لعلّه يجد مبررا لما فعلته محبوبته المجرمة.
عاد يوسف الى المنزل فوجد والدته نائمة على أريكة في الصالة بانتظاره كعادتها ، جلس على ركبتيه يتأمل وجهها الذى تمكنت منه التجاعيد...لطالما ابتسم هذا الوجه ليخفي عنه الحزن والالم...لطالما سهرت تلك العينان لتراقبه وتعتنى به...منذ وفاة والده أصبح هو لها كل شيء وأصبح يشعر أنها مسؤلةٌ منه وأنه هو رجل المنزل ورغم ذلك كانت تُدَلله كطفلٍ صغير...كيف لاحد في هذا الكون أن يتخلى عن والدته ويكن لها هذا الكره!!وكيف لأمٍ أن تتخلي عن وليدها مهما بلغ الامر ذروته!! يبدو أنه يوجد الكثير من الاسرار وراء تلك العائلة المفككة...أيقظ والدته لتنام في غرفتها وذهب هو الآخر لينام فأمامه يومٌ حافل غدًا.
في تمام الساعة الواحدة من صباح اليوم التالى كان يجمع أشيائه من المكتب ويستعد للذهاب للمقابلة خرج ليخبر السكرتيرة أن لديه ميعاد هام وانه سيذهب مبكرًا اليوم ثم نزل الى سيارته واتجه الى العنوان المكتوب..كان المكان أشبه بحى شعبي لم تكن إحدى المناطق الراقية كما اعتقد ..صعد الدرج ووقف أمام الباب وضغط الجرس.. ظن لوهلة ان من تقف أمامه الان هى سلمى ولولا ذلك الحجاب الذى كانت تغطي به

شعرها وعلامات السن التى فرضت نفسها عليها لظن انها هى بالفعل افسحت له المجال ليدخل وهى تقول :

ـ اتفضل يا بنى انا كنت مستنياك

جال ببصره في أرجاء المنزل فوجده غير متكلف يتحدث عن بساطة ساكنيه... مساحته ليست كبيرة لكنها تتسع لافرادها، اتجه معها الى غرفة الجلوس .. جلس علي احد المقاعد وجلست هى على المقعد المقابل وبدأت حديثها :

ـ انا مكنتش ناوية افتح الموبايل كنت فاكراك حد تبع عمها بس خفت لمصطفي يقلق لو اتصل ولاقانى قافلاه ففتحته..انت متعرفش اول ما شفت الرسالة دى جرالى ايه انا مكنتش قادرة أصدق من حسن الحظ ان مصطفي امبارح كان عند واحد صاحبه وكان قايلي انه هيتأخر اتصلت بيك بسرعة وبعدها دخلت نمت عشان لما ييجي ميحسش بحاجة

ـ انا أسف والله..مكنتش عايز أوصلك الموضوع كدة بس الوقت بيعدى ومعاد جلستها بعد 28 يوم...ده كمان بعد الاستئناف يعنى كان لازم اتصرف في اسرع وقت.

ـ استئناف!! جلسة!! ايه اللى انت بتقوله ده؟؟ هو انت المحامى بتاعها؟؟

ـ أيوة.. انا اصلا جارها بس بشتغل محامى فا مسكت القضية

ـ جارها!! هى مش ساكنة مع عمها ؟؟

صمت يوسف لا يدرى كيف يخبرها بالامر فاستعجلته قائلة :
ـ ما تفهمنى ايه اللى بيحصل
ـ ما هى دى المشكلة...هى سابت بيت عمها بعد شهر من نزولها مصر
ـ ايه!! البنت عايشة لوحدها!!! بنتى في السجن ليه ؟؟؟ ايه اللي بيحصل ده ؟؟
ـ هو حضرتك متعرفيش اى حاجة عنها كدة ازاى؟؟
ـ فهمنى الاول بنتى دخلت السجن ليه؟؟
ـ أنا عايز حضرتك تهدى عشان تقدرى تستوعبي الموضوع
ـ يابنى متلعبش بأعصابي اكتر من كدة حرام عليك أنا أم
قالتها والدموع بدأت تنهمر من عينيها قبل ان يصدمها يوسف :
ـ قضية قتــل....قتلت ابن عمها
وضعت يدها على صدرها وصرخت بعدم تصديق :
ـ يا نهار اسود....قتـــل !! لا مستحيل، الكلام ده مش صح أكيد عمها اللى عمل كل ده بنتى مستحيل تقتل اكيد أبوها...لا عمها...لا مش بنتى...مش بنتى..هما اللى عملوا كدة...
قام يوسف ليهدأ من روع تلك السيدة المسكينة التى أخذت تهذى بكلامٍ غير مفهوم وتبكي بحرقة وتنادى علي ابنتها : هاتولى بنتى...انا عايزة بنتى ومسمحاها.. مسمحاها....ويوسف يتألم ويحترق من الداخل تزيد دموع قلبه نيرانه اشتعالاً لا يعلم كيف

يواسيها...ليته لم يخبرها...ولكن ماذا يفعل فلقد كانت ستعلم عاجلاً أو آجلاً ... حاول ان يبدو متماسكاً من الخارج قام اليها وجلس على ركبتيه أخذ يربت على كتفها ويمسك بيديها ويحاول التخفيف عنها :

ـ أنا اسف والله..مش عارف أقولك ايه...بس أرجوكى اهدى عشان نعرف نساعدها لازم تهدى عشان تفهمى الموضوع ده كان غصب عنها...ده قتل دفاع عن النفس

نظرت له بتلك العينين السوداوين التى اطفأت الدموع لمعتها وقالت :

ـ دفاع عن النفس!!

ـ انا هفهمك كل حاجة بس لازم تهدى .....ثم اخرج منديلاً وناولها ايّاه وسكب لها كوب ماء من تلك الزجاجة التى وجدها على الطاولة عسي تساعدها على تبريد تلك النيران التى اشعلها بها...تركها تستريح قليلاً من أثر الصدمة ثم قال :

ـ لو حضرتك تحبي أنا ممكن أمشي انهاردة وأعدى عليكي بكرة تكونى ارتاحتى شوية

نظرت له بألم وابتسمت ابتسامة سقيمة أتبعها صوتٌ مبحوح :

ـ أرتاح!! وهتيجي منين الراحة؟؟ انا نسيت الكلمة دى من زمان أوى من أيام ما دخل حياتى...ربنا ينتقم منه...هو السبب في كل المصايب اللى شفناها

ـ هو مين ده؟؟
ـ قولى بنتى قتلته ازاى؟؟وليه؟؟
ـ ازاى دى انا ممكن احكيليك...لكن ليه...أهى دى الحاجة اللى انا مش قادر أفهمها لحد دلوقتى...عشان كدة جيتلك...في اليوم ده... وبدأ يقص ما حدث:
ـ ...سيبني في حالى امشي من هنا...انا هتصل بالبوليس..ابعد عنى
ـ ابعد عن مين يا ماما انتى فكراها سهلة اوى كدة..فاكرة انى هسيبك تتمتعى بكل حاجة وتعيشي حياتك معاه وانا هقف اتفرج عليكوا
ـ انت مجنون..ابعد عنى والله هصوت والم عليك الجيران...حد يلحقنى...حد يخرج المجنون ده برة...
كان يوسف قادمًا من العمل في غير موعده وقت الظهيرة قبل ان يسمع هذا الصراخ القادم من منزل سلمى..فانتفض مذعورا واتجه نحو الباب وأخذ يطرقه بعنف:
ـ سلمى افتحى...سلمى ...سلمى..
سمع صوت يقترب من الباب وينادى بذعر وصراخ:
ـ يوسف....اااااه سيب ايدي..ابعد عنى..يا يوسف اكسر الباب... يا يـــو....

أصابه الجنون بسماع تلك الصرخات وأخذ يحاول كسر الباب بعنف ولكن للاسف باءت محاولاته بالفشل فقد كان مغلقًا بالمفتاح ...أخذ يحاول تجميع افكاره ماذا يفعل في مثل هذا الموقف..قلبه ينتفض وجسده يتصبب عرقًا كاد يُجَن ..أسرع الى منزله ليحضر شيء يكسر به هذا الباب أخذ يهرول وقبل ان يصل الى عتبة داره سمع صوت الباب وصراخ يقترب..نزل سريعًا لا يرى تحت قدميه ،اندفع الى داخل المنزل ليجدها ملقاة على الارض وبجانبها عصا مكنسة ..ابعد ذلك الشخص الذى لا يعلم من هو ولا ماذا حدث لم يفكر حتى بالامر لم يفكر في اى شيء سوى انقاذها ففاجأه ذلك الشاب بأحد الاسلحة الحادة وصوبها تجاهه...تلافاها يوسف سريعًا وحاول ابعاد يده..ولكن يدًا آخرى كانت قد انجزت المهمة.. انها يد سلمى التى امتدت بسكين أحضرته من المطبخ سريعًا وطعنته في رقبته قبل ان تصل اليها يد يوسف لمنعها..وانتهى الامر ..كانت السيدة التى تقطن الدور الخامس قد اتصلت بالشرطة عندما سمعت صوت صراخ وقبل ان تنزل لترى تلك الجثة سابحةً في دمائها وسلمى ممسكة بالسكين الملطخ بالدماء وجسدها يمتلىء بالعلامات الزرقاء والجروح ويوسف يقف بجوارها مذهولا لا يتسطيع تدارك الامر...وجهه ينزف ويجلس على الاض بلا حراك...

انهى يوسف حديثه ونظر الى تلك االسيدة التى كانت تنصت له في ذهول وكأنه يتحدث عن شخص لا تعرفه...وكأن الصدمة كانت اكبر من ان تعِبَها فآثرت التعامل معها على انها لغريب :

ـ طب وفين الجيران...ازاى حصل كل ده ومكانش حد اتلم ..الشقة اللى قصادها فين. طب اللى فوقيها !!

ـ الشقة اللى قصادها مش ساكن فيها حد والشقة اللى فوقيها احنا...بس أمى كانت عند خالتى في الوقت ده والبيت كان فاضي...ده غير ان في الوقت ده الناس كلها بتكون اللى في الشغل واللى في المدارس والجامعات ..مكانش فيه غير جارتنا دى اللى مش بتشتغل وهى اللى بلغت البوليس.

أغمضت سماح عينيها وعادت برأسها الى الوراء وطال الصمت الذى لم يشأ ان يقطعه يوسف ، فهو يعلم مدى هوْل الموقف و فَجْعته...نظر الى ساعة يده فوجدها تقترب من الرابعة والنصف فآثر الذهاب قبل عودة مصطفي من الدرس وليتركها تستريح...انه لا يريد ان يتركها ويرحل بعد كل ما سببه لها من الم..يريد ان يبقي بجانبها ليُسْلى عنها بعض حزنها...ولكن كيف وحاله لا يختلف كثيرًا عنها...كيف يداويها وهو الجريح...كيف يكفكف دموعها ودموعه تستنجد به فلا ينجدها لماذا دائما يكون ألمنا على قدر محبتنا؟؟ لماذا دائمًا تأتى الفاجعة في أحب الناس الينا؟؟ هل هذه هى سنة الحياة أم

هى سنة ذوى الحظ العثر فقط !! ولماذا يكون المخلص دائمًا هو صاحب الحظ العثر!!...اضطر يوسف آسفًا لانهاء ذلك المشهد المؤلم الذى لم يعد يستطيع تحمله وقال :

ـ أنا لازم امشي دلوقتى..أكيد ابن حضرتك زمانة قرب يوصل..أنا موجود في أى وقت تلاقي نفسك مستعدة فيه للكلام ..بس أرجوكى حاولى تهدى وتتماسكى عشان نقدر نساعدها..الوقت بيمر ولسه في حاجات كتير لازم تتعرف

لم تجبه سماح سوى بإيماءة برأسها...حتى إنها لم تتحرك من مقعدها لتوصله الى الباب...نظر اليها يوسف بتردد...لا يريد تركها هكذا ولكن..للضرورة أحكام.

في الجانب الآخر كانت سلمى تعانى من الجوع والوحدة ..أصابها الإعياء ولكنها تستمر في المكابرة :

ـ ما تنزلى تاكلى معانا بدال مانتى عملالنا فيها بنت باشا لما هتموتى

كان هذا هو صوت المعلمة دريّة التى جمعت الفتيات حولها لتناول ما لذ وطاب من الطعام الذي يصلها أسبوعيًا ...الجميع ينتظر ذلك اليوم كأنه عيد فهو بالكاد يريحهم قليلًا من طعام السجن...كانت سلمى تنظرإليهم بين الحين والآخر تريد أن تشاركهم ولكن كبرياؤها الشديد يمنعها من أن تكون إمرأة مثل تلك الجاهلة التى لا تنتمى الى عالمها (كما وصفتها سلمى)

صاحبة فضلٍ عليها...تتحمل صراخ ولوم معدتها فقط كي تريهم انها ليست مثلهم وأنها ليست بحاجة أحد..بينما كان الجميع ينظر لها بشفقة.. يشفقون على تلك الفتاة التى أجهدها الإعياء والجوع حتى أطفأ بريق جمالها..تظن أن لا أحد يسمع أنينها ليلاً أو يرى ألم الحرمان في عينيها..إنها تحاول جاهدة لإخفاء ذلك عن أعينهم ونسيت أن الاحمق هو من يظن من حوله حمقي ..فكيف يتسطيع أحد أن يخفي الم الجوع ويمنع الإعياء من الانكشاف على أعين الناس...انتهى الجميع من تناول الطعام وتركوا لها نصيبًا منه رأفةً بحالها وقالت دريّة :

ـ أكلك اهو يا حبيبتى...وقت ما الجوع يقرصك وينسيكي دور بنت الباشا ابقي كلى

نظرت لها سلمى.... ولم تعقَّب.

عاد يوسف إلى المنزل بالكاد تحمله قدماه...يطارده وجه هذه الام التى نالت من الصدمات أشدها...ترى مالذى فرّق بينها وبين ابنتها بتلك الطريقة!! يريد أن يدرى ماذا يحدث بفارغ الصبر ولولا حال تلك الام ومصيبتها لما تركها حتى يعلم كل شىء...بداخله شعور بالذنب على ذننب لم يقترفه فهو يشعرأنه مذنب في حق تلك السيدة وما هى فيه الآن.. لماذا أخبرها..إنه يخشي أن يصيبها خطب جراء هذا الخبر ماذا سيفعل حينها..لن يستطيع تحمل الامر فلو لم يخبرها لما حدث كل هذا.. هذا...

ما كان يجول بخاطره وهو ينظر الى السقف على فراش غرفته ولكنه عاد ليقنع نفسه ان مثل هذا الامر لن يخفي عنها طويلاً وحتمًا كانت ستعلم ولكن على الآقل هو الآن معها ليشد من أزرها ويطمئنها وبعد أن رأى ذلك الالم والحسرة في عينيها عزم على ألا يتخلى عنها أبدا ويقف بجانبها..أو ربما تلك هى الحجة التى حاول إقناع نفسه بها لينقذ تلك الفتاة التى لا يستطيع حتى الآن استيعاب انها لم تعد حبيبته وكأنها سرقت مفتاح قلبه بعد أن تربعت على عرشه..ليتها سرقته..على الآقل ربما كان باستطاعته استرداده منها فهو يعلم مقرها الذى استتبت فيه...ربما القت به في محيطٍ لا يعلم أوله من أخره احد..حاول طرد تلك الافكار من رأسه وإقناع نفسه بأنه يساعدها لأنه مسؤول عن تلك الجريمة فهى كما كان يعتقد حتى موعد التحقيق فعلت ذلك لتحميه وإن كان قد غير رأيه بعد ما سمعه لكنه الآن وجد لنفسه مبرراً آخر وهو تلك الام التى تسبب لها في كثيرٍ من الألم .

مضي اليوم التالى دون شىء يُذكر ما بين العمل وإنتظار مكالمة سماح التى لم تتصل..أراد ان يحدثها ليطمئن عليها..ولكنه سرعان ما غير رأيه فلربما كانت تريد الاختلاء بنفسها لتستجمع شتات أمرها..وفي صباح اليوم التالى..جلس لتناول الافطار وكانت والدته تحضر الأطباق من المطبخ

وتضعها على طاولة الطعام حين رن هاتفه..همّ بالنهوض لإحضارة من غرفته فأوقفته والدته :

ـ خليك ، أنا هجيبه

وقبل أن يعترض خشية أن تكون المتصلة مدام سماح فتبدأ والدته بفتح تحقيق كان قد حدث ما يخشاه :

ـ مين مدام سماح دى يا يوسف ؟؟

ـ هاه...مدام سماح مين؟؟

ـ انت هتستهبل عليا يا واد...شوف انت بقي اصلها بترن عليك مش عليا

ـ اااه...دى..شغل يا أمى ..قضية من اللى انا ماسكهم

قالها وهو يسحب منها الهاتف ويجعله على الوضع الصامت ويهم بالنهوض

ـ طب ايه مش هترد عليها!!

ـ لا منا كدة كدة نازل دلوقتى..زمانها في طريقها للمكتب وبتشوف انا وصلت ولا لسه

ـ الساعة لسة مجتش 7 ونص يا حبيبي ..طب مش كنت تقولى انك بقيت تفتح بدرى

ـ بفتح بدرى ايه يا امى هو انا رايح كشك سجاير..بقولك ايه انا نازل قبل ما التحقيق بتاعك ده ينتهى باعدام..انا بفكر اتوسطلك واشغلك وكيل نيابة ولا مباحث

ـ أيوة يا أخوية استعبط وتوّه..بس انا واثقة انك وراك حاجة...وتخص اللى ما تتسمى دى..ادعى عليها بإيه بس يا ربي

انزعج يوسف من تلك الكلمات ولم يعقّب حمل حقيبته وذهب...ركب سيارته وأدار المحرك بينما كان يضغط على زر الاتصال فأجابته على الفور بنبرةٍ متوسلة :

ـ أنا اسفة انى بتصل بيك بدرى كدة بس الحقنى ارجوك

ـ خير في ايه؟؟؟؟

ـ مصطفي عرف اللى حصل وحالف لا يروح لعمه ومعرفش ناوى على ايه...انا قفلت الباب بالمفتاح وواخدة المفاتيح بس مش قادرة عليه

ـ أنا جاى حالاً...اوعى تسيبيله المفتاح حاولى تمنعيه لحد ما اجى

قالها يوسف وأغلق الخط بسرعة ليسرع بقدر استطاعته لايقافه قبل ان يرتكب اى حماقات...ظل ينظر بين الفيّنة والاخرى في ساعة يده وهو يزيد من البنزين حتى وصل...صعد سريعا الى الشقة وطرق الباب...كان يسمع صوت صراخ من الداخل فخاف ان يحدث شيء..اسرعت سماح بفتح الباب فاندفع يوسف الى الخلف ليجد ذلك الشاب الثائر يحاول

الخروج...أمسكه يوسف من كتفيه ليمنعه من النزول..حاول مصطفي إزاحة يده وهو يصرخ :

ـ ابعد عنى ...والله لاقتله ..هقتله..هخليه يحصَّل ابنه...وهخليها تحصلهم هى كمان

اشتدت قبضة يوسف على كتفه واحتد صوته :

ـ كفاية فضايح هتلم عليكوا الناس..ادخل البيت وخاف على سمعتكوا وسمعة أمك المسكينة دى ..عايز تودى نفسك في داهية انت حر..لكن امك دى ذنبها ايه تتبهدل هيبقي انت واختك عليها

أصابت تلك الكلمات مرماها في أذن مصطفي فاستكانت ثورته قليلاً وارتخت أعصابه فدفعه يوسف الى الداخل وأغلق الباب ..ظل يلهث ووجهه مخضب بالدماء تكاد عروقه ان تنفجر...ذلك الشاب الثائر حامى الطباع...شاب في الصف الثالث الثانوى لا يختلف كثيرًا عن والدته واخته من حيث الملامح..ولكن يبدو انهم جميعًا لا يربط بينهم سوى تلك الملامح التى لولاها لانتمى كل منهم الى عالم اخر، فطباعهم لا تدل على انهم من نفس الكوكب لا العائلة...ابعد مصطفي يد يوسف التى لا زالت تمسك به واسرع الى غرفته ليدفع الباب بقوة كادت ان تفتك به ووالدته تحاول اللحاق به وهى تبكي بحرقة فاستوقفها يوسف قائلًا :

ـ سيبيه يا امى يهدى
ثم وضع يده على كتفها برفق واخذها ليجلسها على احد المقاعد وذهب ليحضر لها كوب ماء..بعد مرور 15 دقيقة حاولت فيها سماح تمالك اعصابها وتهدئة روعتها أغمضت عينيها وعادت بجسدها الى الوراء وبدأت حديثها :
ـ من حوالى 25 سنة
لم يستوعب يوسف ما عنته بتلك الجملة فأراد ان يستفهم ولكنها سبقته :
ـ الموضوع بدأ من حوالى 25 سنة...كنت لسة في الجامعة ...كنت حلوة ومن عيلة كويسة...بلبس احسن لبس وبيتقدملى عرسان كتير زى اى بنت..لكن انا كنت شايلة الموضوع ده من دماغى لحد ما اخلص دراستي ...وفي يوم وانا راجعة مع واحدة صاحبتى من الجامعة شوفته .....
ـ سماح..شايفة الشاب اللى هناك ده
ـ فين ده؟؟
ـ اهو يابنتى اللى راكب الموتوسيكل وباصص علينا ده
ـ اه شوفته .. ماله؟؟
ـ ابتسمت صديقتها ابتسامة ماكرة وقالت:
ـ بقي مش عارفة ماله؟؟ ده عينه متشالتش من عليكي طول ما احنا واقفين

ـ بس يا بت انتى اسكتي احنا في ايه ولا في ايه..بدال ما تركزى مع اللى رايح واللى جاى خلي عينك علي الباصات عشان نلاقي حاجة نركبها بدال ما نبات في الشارع

ضحكت صديقتها وقالت :

ـ بس الصراحة الواد حلو...ايوة بقي يا بختك...مش عارفة عاجبهم فيكي ايه

ضحكت سماح قبل ان تشير الى احدى الحافلات وتمسك يد صديقتها :

ـ طب يلا ياختى عشان نروح بدال الشمس اللى هتشوينا دى وساعتها ابقي قابليني لو حد عبرنا

ضحكت صديقتها وذهبت معها لتركب الحافلة...عادت سماح الى المنزل وبداخلها شىء من السعادة...انه ليس الشاب الاول الذى يلتفت اليها ولكن..عندما يدق القلب لا يردعه شىء..فهو دائما لا تعنيه احكامنا ولا تغنيه رؤيتنا للامور فهو دائمًا لديه رؤيته الخاصة....في الحقيقة لم تكن سماح تحتاج الى صديقتها لتلفت انتباهها فلقد كانت تسترق النظرات بين الفيّنة والاخرى دون ملاحظة أحد...

أصبحت تراه كل يوم بعد خروجها من الجامعة واثناء انتظارها للحافلة مع صديقتها أصبحت تبادله النظرات بشيء من الحرج وتنتظر أن يأتى ليحدثها...حتى أتى ذلك اليوم الموعود حين

كانت تسير مع صديقتها للخروج من بوابة الجامعه عندما قالت لها :

ـ بقولك ايه يا سماح انا مش هينفع أروح معاكى انهاردة أصلى معزومة على الغدا

ـ أيوة بقي ناس ليها العزومات وناس ليها اللطعة في الشمس

ـ لا يا حبيبتى منا بفضيلك الجو اهو يمكن يتحرك وييجي يكلمك لما يلاقيكي لوحدك

ارتبكت سماح واحمر وجهها وقالت :

ـ هو مين ده؟؟

غمزت لها صديقتها وابتسمت ابتسامة ماكرة :

ـ ايوة ياختى استهبلي...صاحب النظرات الهائمة والحظ السعيد

ضربتها سماح بخفة على ذراعها وقالت لها :

ـ طب يلا امشي عشان متتأخريش وبطلي رخامة

ـ ماشي ياسمسمة سلام

أخرجت سماح مرآة من حقيبتها ونظرت بها لتصلح زينتها ثم اسرعت لتقف حيث اعتادت...نظرت صوب الاتجاه الذى دائماً ما يقف فيه فوجدته بانتظارها..بدأ قلبها يخفق بشدة...تنتظر ان يقترب ليحدثها...لم تنتظر طويلاً فبمجرد أن رآها وحدها ادرك ان صديقتها ليست معها اليوم فأسرع باغتنام الفرصة...اقترب بثقة وجرأه نحوها..رأته بطرف عينها فاصطنعت عدم

الانتباه..ازدادت دقات قلبها وتصاعدت الدماء الى وجهها...بشرتها البيضاء الناصعة كانت تفضح خجلها..شعرت ان تلك الخطواط القليلة التى تفصل بينهم كأنها صحراء شاسعة وكأن تلك الثوانى دهراً حتى أصبح ماثلاً امامها :

ـ أنسة سماح..مش كدة؟؟

نظرت له سماح بدهشة وتعجب وقالت :

ـ انت عرفت اسمى منين ؟؟

ـ دى تالت سنة ليكي هنا في الجامعة صح ؟؟

ـ انت عرفت عنى كل ده ازاى ؟؟

ـ أمال كنت هقف اتفرج عليكي كدة وخلاص ؟؟

صدمتها جرأته...واستفزتها طريقته في الحديث..يبدو انها حينما بادلته النظرات سمحت له بتخطى كثير من الحدود معها :

ـ وحضرتك بقي عايز منى ايه ؟؟

ـ ايه الرد الناشف ده بقي انا كل يوم اجي اطلطع هنا في الشمس وفي الاخر تكلميني كدة ؟

ـ نعم!! شكلك عايز تتهزأ...اتفضل امشي من هنا بدال ما اسمعك كلام ميعجبكش

أطلق ضحكة استفزتها كثيرًا فلم تحتمل اسلوبه اكثر من ذلك فاسرعت للانصراف على الفور فاستوقفها سريعًا :

ـ استنى بس رايحة فين ده انا لما صدقت صاحبتك دى مش معاكى
ـ انت تعرفنى منين عشان تتكلم معايا بالطريقة دى..انت مجنون!!
ـ امال انا جاى ليه..مهو عشان نتعرف
ردت عليه بحزم :
ـ وانا مبتعرفش كدة على اى حد وياريت مشوفش حضرتك هنا تانى
كانت قد وصلت الحافلة فأشارت اليها واسرعت بالذهاب...ابتسم ذلك الشاب وهويتبعها بنظره حتى ركبت الحافلة وقال :
ـ شكلنا هنتسلي...اهو البنات اللى بتدى الوش ده في الاول بتكون سهل اوى يضحك عليها..اموت انا في الصنف الخام ده
عادت سماح الى المنزل وهى تغلى من شدة الغضب ..دخلت الى المنزل ولم تلقي السلام على احد واسرعت الى غرفتها وهى تحدث نفسها :
ـ الحيوان..ما انا اللى عودته عليا..انا اللى غلطانة مكانش المفروض أعبره ولا ارد عليه اصلا..هو ازاى يتكلم معايا كدة..هو فاكر نفسه مين ده
دخلت عليها والدتها ويبدو علي وجهها القلق وقالت :

ـ مالك يا بنتى داخلة كدة من غير سلام ولا كلام ومش شايفة قدامك

ـ مفيش حاجة يا ماما بس متعصبة شوية ،انا هغير وانام

ـ طب بس فهميني ايه اللى حصل؟؟

أجباتها سماح بحدة :

ـ يا ماما قولتلك مفيش حاجة سيبينى بقي

ـ انتى بتعلى صوتك عليا..تصدقي انا اللى غلطانة انى قلقانة عليكي

ثم تركتها وذهبت وهى لا زالت تتمتم بعبارات الغضب...لم تستطع سماح التوقف عن التفكير فيما حدث طوال الليل حتى اتى اليوم التالى ...

في كافيتيريا الجامعة كانت تجلس مع صديقتها تقص عليها ما حدث :

ـ انا مش عارفة ايه الوقاحة اللى هو فيها دى ازاى يتكلم معايا كدة

ضحكت صديقتها حتى مالت برأسها على الطاولة فاثارت غضب سماح فعاتبتها قائلة :

ـ هو انا بحكيلك عشان تضحكى...ده شكله واحد صايع وجاى يتسلى

ـ طب وايه المشكلة ؟؟

ـ نعم !! انتى بتهزرى ؟؟
ـ يا بت افهمى بس..هو مش عاجبك ؟؟
ـ عاجبنى ايه انتى كمان..بعد كل اللى حكتهولك ده ؟
ـ افهمى يا هبلة...احنا هنتسلي بس مش اكتر..الواد حلو وشكله دمه خفيف..اهو تقضية وقت
اتسعت حدقتا عين سماح ونظرت لها مصعوقة ..انعقد لسانها ودمعت عيناها وقامت على الفور :
ـ سماح استنى بس..انتى زعلتى ولا ايه
أزاحت سماح يدها بعنف وردت بانفعال :
ـ ابعدى عنى..انا مكنتش متوقعة انى اسمع منك كلام زى ده
ـ يابنتى استنى بس متزعليش.. انتى فهمتيني غلط
ـ وهو الكلام ده يتفهم ازاى ان شاء الله .. انا طالعة المحاضرة وتركتها وذهبت...بعد انتهاء المحاضرة جاءت صديقتها لتسترضيها :
ـ خلاص بقي انتى لسة زعلانة
ـ سبيبنى في حالى يا سها بقي عشان انتى لغبطتى جامد
ـ خلاص بقي ميبقاش قلبك اسود كدة..انا بس لقيت الواد عاجبك قولت مفيهاش حاجة لما تجربي يعنى ولو طلع وحش اعتبريها مجرد تجربة وعدت

ـ خلاص بقي اقفلي الموضوع ده ولو جه يكلمنى تانى هههزأه..يلا عشان نلحق نروح

ذهبت سماح برفقة صديقتها وهى عازمة على توبيخ هذا الوقح اذا حاول الاقتراب منها ولكن حدث ما لم تكن تتوقعه... جالت بنظرها في المكان هى وصديقتها فلم تجدا له اثر فقالت سها :

ـ شكله اتربي من موقف امبارح .. الواد ملهوش اثر

ـ يلا احسن..اصلا انا كنت ناوياله على نيّة سودة

ـ طب ومالك ضاربة بوز كدة ليه ده مش شكل احسن خالص

ـ قصدك ايه بقي يا هانم...وبعدين انا مش ضاربة بوز مالي يعنى

ـ ده انتى ناقص تضربيني..انتى لسة مضايقة من موقف الصبح ولا ايه

ـ لا مش مضايقة..بس انا اصلا صاحية انهاردة مزاجى زفت من موقف امبارح

تعجبت صديقتها من رد فعلها فهى توقعت ان يتلاشي غضبها قليلاً لعدم وجوده في المكان ولكنها آثرت الصمت..عادت كل منهما الى منزلها...حيّت سماح والدتها ودخلت الى غرفتها فتبعتها اختها التى تكبرها بعام :

ـ سماح انا اشتريت كام طقم جداد تعالى اوريهملك قبل ما نبعتهم على الشقة

ـ وانا مالى انا ماتاخدى رأى خطيبك هو انا اللى هلبسهم ولا انتى
تعجبت اختها من لهجتها الغريبة وانفعالها بدون سبب وقالت :
ـ انتى مالك مش علي بعضك ليه اليومين دول هو ايه اللى بيحصل ؟؟
ـ ياستى مفيش حاجة مرهقة شوية كان عندى محاضرات كتير انهاردة وجاية مصدعة ..انا هغير وانام
اقتنعت اختها بذلك التبرير فلم تشأ ان تضغط عليها فتركتها وذهبت .
لم تستطع سماح ان تحدد مصدر ضيقها الحقيقي هل بسبب ما حدث بالامس؟؟ ولكنها استطاعت التصرف جيدًا ولم تسمح له بالتمادى كما انه لم يكن موجودًا اليوم ويبدو انها أوقفته عند حده وسيتوقف عن انتظارها، لكنها رغم ذلك لا تزال منزعجة فلماذا !! لم ترد التفكير في الامر اكثر من ذلك حتى لا تعطيه اكبر من حجمه ويسيطر على تفكيرها ..بدلت ملابسها وخرجت لمصالحة أختها فهى ستذهب الى بيت الزوجية قريبًا فلا يجب ان تضايقها..كم ستفدقها حين تذهب فلقد اعتادتا دائمًا ان يكونا صديقتين مقربتين..انها لا تستطيع تخيل المنزل دونها..انشغلت بالتفكير في أمر اختها وتناست ذلك الامر...في

اليوم التالى ظلت تبحث عنه في نفس المكان ولا تعلم لماذا..لكنها ايضًا لم تجده :

ـ انتى بتدورى علي مين ؟؟

ـ هاه..لا مش بدور على حد

ـ امممممم متأكدة؟؟

ـ عايزة ايه يا سها يعنى هكون بدور علي مين

ـ طيب..على العموم هو مش موجود

ـ بجد؟؟ وانتى عرفتي ازاى ؟

ضحكت سها لايقاع صديقتها في الفخ وقالت :

ـ هو مين ده؟؟مش انتى مش بتدورى على حد!!

انزعجت سماح التى لم تنتبه لما فعلته صديقتها الماكرة وقالت :

ـ تصدقي انتى رخمة

ـ انتى اللى بتكابري ومش راضية تعترفي وبعدين الصراحة ليه حق بعد ما هزأتيه ومدتيهوش وش عايزاه ييجي يعمل ايه

صمتت سماح ولم تعقب...مضت عدة أيام تقف في نفس المكان وتبحث عنه ولكن دون فائدة..حتى إنها كانت تتعمدت التأخير قليلاً عن ميعاد الحافلة وتنتظر الحافلة التى تأتى بعدها متحججةً بأى سبب آملةً بأنه ربما يأتى ولكنه رغم ذلك لم

يأتى... حتى مر أسبوع على هذا الحال وبينما هى تقف مع صديقتها في نفس المكان ويتبادلان الحديث :

ـ شكله مش هييجى تانى

ـ خلاص بقي يا سماح..انتى محسسانى ان كان بينكوا حاجة مكانوش شوية نظرات من بعيد لبعيد ده حتى لما فكر يكلمك شوفي عملتى فيه ايه..لو كنتى سمعتى كلامى ـ بس بقي يا سها بطلى مهو كان لازم اعمل كدة امال كنت اسايره وياخد عنى فكرة وحشة

وإذا بصوت يأتى من خلفها :

ـ ايه وحشتك؟؟؟

التفتت سماح الى مصدر هذا الصوت ولم تستطع تصديق عينيها نظرت له في دهشة وتسارعت دقات قلبها حتى كادت ان تخترق صدرها..شعرت بشىء غريب لم تعهده من قبل..تلعثمت قليلاً قبل ان تجيب :

ـ انت تانى ؟؟

دعست سها على قدمها وقاطعة حديثهم :

ـ ايه ده يا سماح مش تعرفينا على اصحابك

نظرت لها سماح بعدم استيعاب ولم تعلم بماذا تجيب ولا ما الذى يحدث..فتولى الشاب هذا الامر وقال وهو يمد يده لمصافحة سها :

ـ انا وائل

نظرت لهما سماح في حنق مما يفعلانه..يبدو انها اخطأت حين ظنت انه تعلم مما حدث..وما هذا الذى تفعله سها كيف لها ان تتصرف هكذا..همت بالانصراف سريعًا قبل ان تفقد اعصابها ولا تستطيع السيطرة على ردة فعلها فأوقفتها يد صديقتها :

ـ انتى رايحة فين يابنتى.. كدة بردو ده بدال ما تعرفينا على بعض

ردت سماح بانفعال شديد :

ـ صحابي مين..ايه الاستهبال ده

قاطعها وائل ببرود :

ـ يا سماح وطي صوتك احنا في الشارع الناس هيفتكرني بضايقكوا

ردت عليه بذهول :

ـ سماح!! لا ده انت اكيد مش طبيعي

ـ انا اسف قصدى...يا انسة سماح..كدة كويس؟؟

كظمت سماح غيظها بصعوبة واتجهت الى صديقتها بالحديث :

ـ سها..هتروحى معايا ولا هتفضلي واقفة وامشي انا؟؟

ـ ينفع كدة يا انسة سها اللى صاحبتك بتعمله ده..طب قوليلي دلوقتى انا غلط ف ايه عشان العصبية دى كلها !!

ـ ايوة صح يا سماح هو وائل غلط في ايه عشان كل ده

ـ لا ده انتى شكلك اتجننتى خلاص
قالتها سماح وذهبت لتستقل تاكسي فهى لن تستطيع التحمل اكثر من ذلك لحين وصول الحافلة..حاولت سها اللحاق بها فأوقفها وائل قائلاً :
ـ هى زعلت ليه..انا كنت بهزر مش قصدي حاجة
ابتسمت سها بمكر وقالت :
ـ معلش..اصلها معقدة شوية..قولي بقي انت بتيجي هنا تعمل ايه؟؟
ـ باجى هنا لشغل اصل لينا تعاملات مع محل العطارة اللى هنا..بنجيب بضاعة وكدة
ـ انتوا مين؟؟
ـ انا و أخوية..بس انا اللي باجى اوصل البضاعة دايماً
ـ اه وانت بقي تعرف سماح من امتى؟؟اصل انا كنت بشوفك وانت واقف هنا كل يوم بس بقالك اسبوع مبتجيش..دى حتى سماح كانت بتقف تستناك وتدور عليك
ابتسم هو الآخر نفس الابتسامة وقال:
ـ طب ايه بقى ؟؟
تصنعت سها عدم الفهم وقالت :
ـ ايه في ايه ؟؟
اقترب منها قليلاً وقال :

ـ وانتوا بقي مبتخرجوش؟؟
ـ انا بخرج..لكن سماح مبتحبش الخروجات والنوادى والجو ده
ـ طب وانتى متعرفيش تقنعيها؟؟
وجدتها سماح فرصة مناسبة لأخذ حريتها والتأخر عن المنزل بحجة أقوى فوالدتها تثق في سماح كثيرًاو لكن سماح كانت ترفض اخبار والدتها بأنها معها لتغطى عليها أفعالها ففكرت بأنها اذا جعلتها تتعلق بهذا الشاب سيسهل هذا عليها الامور كثيرًا...
ـ ها..قولتى ايه؟؟
ـ طب بص..انا هحاول معاها بس مش هقولها انك جاى عشان لو عرفت مش هتيجي
ثم اخرجت ورقة من حقيبتها وكتبت له عنوان المطعم الذى ستنتظره فيه والميعاد وتركته وذهبت.
في المساء اتصلت سها بسماح التى كانت تجلس في غرفتها عندما دخلت والدتها :
ـ انا مش قولتلك 100 مرة ملكيش دعوة بالبنت دى تانى؟؟
ـ بنت مين يا ماما؟
ـ سها..هى بتتصل بيكي ليه ،عايزة منك ايه؟؟
ـ سها على التيليفون؟؟

ـ انتى لو مبعدتيش عنها انا هكلم مامتها وهقولها تبعد بنتها عننا ولو اتصلت تانى هزأها...اتفضلي قومى ردى وقوليلها متتصلش هنا تانى

قامت سماح على الفور لترد على الهاتف ووقفت والدتها بجوارها لتستمع الى ما يدور بينهم من حديث.....

ـ الو يا سها..خير في حاجة؟؟

ـ انا بتصل بيكي عشان اصالحك

ـ اه معايا الملزمة اللى الدكتور قال هييجي منها في الامتحان

ـ ايه ده انتى شكلك مامتك جنبك..طب بصي بقي انا مش هقفل غير لما تصالحيني

ـ ايه؟؟ لا بصراحة مش عارفة قال كدة ولا لأ

ـ ده انتى شكلك مزنوقة اوى...بقولك ايه انا عزماكى بكرة على الغدا عشان اصالحك ولازم تيجي يا اما هفضل كل شوية اتصل وانا عارفة ان مامتك مش بطيقنى وهتفضل بقي تفتح معاكى تحقيق وبتتصل ليه وعايزة منك ايه ومش هتخلصي

ـ ط..طيب يا سها حاضر هجيبهالك بكرة ان شاء الله عشان تصوريها

ـ ايوة كدة شاطرة مستنياكي الساعة 3 في.....

ـ خلاص ماشي يا سها مع السلامة

وضعت سماعة الهاتف وهى تحاول التقاط أنفاسها وتفكر في ذلك المأزق التى وضعت نفسها فيه فسألتها والدتها على الفور :

ـ ملزمة ايه اللى هتروحى تديهالها دى

ـ اصل..اصل سها يا ماما بقالها كذا يوم مبتجيش الجامعة فمكانتش تعرف ان عندنا بعد بكرة امتحان فكانت بتكلمنى عشان عايزة الملزمة

ـ وهى متجيش تاخدها منك ليه؟؟

ـ مهى عارفة يا ماما انك مش بتستريحيلها وكدة فمحبتش تحرجنى قدامك

ـ انا مش قولتلك تبعدى عن البنت دى عشان شكلها مش كويسة؟؟

ـ يا ماما منا بحاول بس انتى عارفة انى مليش اصحاب ومش بعرف اكون صداقات وهى معملتليش حاجة وحشة

ـ الكلام منتهي في الموضوع ده يا سماح ..انا مش هستنى لما تعمل..لما تكونى لوحدك احسن ما تكونى مع حد مش كويس وبعد كدة تبقي تطلب اللى هى عايزاه من واحدة تانية هو مفيش في الجامعة غيرك ولا ايه

ـ حاضر يا ماما اخر مرة هيتكرر الموضوع ده

في اليوم التالى ذهبت سماح الى المطعم لملاقاة سها وما إن رأتها حتى قالت:

ـ ايه اللى انتى عملتيه ده

ـ معلش بقي يا سمسمة اعمل ايه مهانش عليّا اسيبك زعلانة

ـ انا قولتلك كام مرة متتصليش على البيت تقومى تتصلي وتحرجيني كدة

ـ خلاص بقي يا سمسمة عديها ده حتى انهاردة الجمعة فيها ايه لما تغيري جو شوية

ـ مش عارفة ليه مش مطمنالك وحاسة ان وراكي حاجة

ـ ليه كدة بس كل ده عشان خروجه زهقت يا ستى من قاعدة البيت وبعدين متخافيش انا عزماكى والحساب عليّا

ـ متحاوليش يا سها المهزلة اللى حصلت امبارح دى مش هعديها بجد

نظرت سها الى ساعة يدها ثم تظاهرت بنسيان أمر هام وقالت :

ـ يا خبر..معلش يا سمسمة انا لازم اقوم نسيت حاجة مهمة خليكي هنا وانا مش هتأخر..اطلبي الاكل على ما اجى

ـ استني هنا انتى رايحة فين

تركتها سها وذهبت سريعًا قبل ان تسمح لها بالاعتراض...مضى اكثر من عشر دقائق وسها لم تأتى بعد :

ـ هى اتاخرت كدة ليه!!
قالتها سماح قبل ان يسحب احدهم المقعد المقابل ويجلس قائلاً:
ـ ايه الصدفة الحلوة دى
رفعت سماح بصرها الى ذلك الرجل الماثل امامها فلم تستطع تمالك نفسها من الذهول...تسارعت دقات قلبها وغلى الدم في عروقها حتى كادت ان تنفجر..كان يجب ان تعرف من البداية ان سها لا تنوى على الخير
ـ انت تانى!! لا بقي كدة كتير وسها دى حسابها معايا بعدين
قالتها وهى تهم بالنهوض فاستوقفها سريعًا :
ـ استنى بس والله جاى اصالحك
احتدت نبرتها وعلى صوتها وطرقت براحة يدها على الطاولة في عنف :
ـ انت ايه حكايتك عايز منى ايه
ـ طب بس اقعدى عشان الناس بتبص علينا
نظرت حولها فوجدت الجميع يراقبون ما يحدث فاضطرت للجلوس واستطرد هو :
ـ انا عايز اعتذرلك عن الطريقة البايخة اللى اتعرفت عليكي بيها وارجوكي متكسفينيش.....
رن هاتف يوسف فتوقفت مدام سماح عن سرد الاحداث اعتذر منها ليرد على الهاتف :

ـ الو...طيب ماشي انا جاى حالاً
اغلق الخط وقال :
ـ معلش انا مضطر امشي دلوقتى عشان جالى شغل ضرورى...أعدى على حضرتك تانى امتى؟؟
ـ مش عارفة ..انا المفروض انزل بكرة الشغل عشان كدة بقالى يومين أجازة بس خايفة اوى لمصطفي يعمل حاجة
فكر يوسف قليلاً ثم قال :
ـ طب معاكى رقم حد من أصحابه؟؟
ـ اه...معايا رقم واحد منهم،ساعات لما موبايله بيفصل بيكلمنى من عليه
ـ هو عنده دروس او مدرسة بكرة ؟؟
ـ ايوة
ـ كويس اوى..حضرتك متنزليش بكرة غير لما تتأكدى انه راح على دروسه ودلوقتى اتصلي بصاحبه وفهميه ان مصطفي اعصابه تعبانة شوية فيخلي باله منه ولو لاقاه عايز يروح في اى حته يجاريه ويتصل بيكي وكلميني بسرعة وانا هتصرف...بس غالباً مش هيعمل حاجة هى بس لحظة عصبية ورد فعل مبالغ فيه شوية بحكم سنّه
ـ حاضر انا هكلمه دلوقتى اهو..مش عارفة اشكرك ازاى ، كتير خيرك يابنى

ـ ده واجبي يا أمى..هستأذن انا بقي
ذهب يوسف الى عمله وترك سماح لتتصل بصديق مصطفي....

مر اليوم التالى دون أى كوارث..كانت ظنونه بالنسبة لمصطفي صحيحة نوعاً ما ويبدو انه عاد لرشده..كان يوسف ينتظر مكالمة مدام سماح لتكمل له ما حدث... في تلك الاثناء كانت سلمى تجلس ساهمة على احدى مقاعد حديقة السجن في الساعة المخصصة لهم.. تنظر لأعلى فتجد الشمس تتوسط عنان السماء وتلقي بأشعتها على كل شبرٍ في الحديقة وكأنها تطهره من بقايا عبق الخطايا وكأنها تحمل الى الجميع رسالةً مليئةً بالامل تخبرهم فيها انه لازالت لديهم الفرصة لانقاذ ما تبقي لهم من أيام على هذه الارض..تنادى وتتوسل ليستجيبوا لها فيستجيب من يستجيب ويُصَم من يُصَم وسلمى حائرةً بين الاستسلام لذلك الواقع الاليم او محاولة انكاره..هذا القفص الصغير لا يعنيها.. إنما كانت تفكر في السجن الاكبر عندما تخرج لتجد نفسها قد خسرت كل شىء.. فهذا السجن مهما ضاقت جدرانه ومهما بهتت الوانه يظل يتسع لها ولا يبخل عليها بالونس..إنها رغم مكابراتها وأنفتها أدركت انها لن تجد من يرضي بوجودها سوى هؤلاء اللواتى تترفَّع عنهن..تدرك انها رغم انكارها تشابههنّ معها أنها لن تجد لها شبيهاً في

العالم الخارجى مثلهنّ...تنهدت تنهيدة عميقة تخرج في زفيرها كل ما تحمله من ألمٍ وندم وأخذت تسترجع ذلك اليوم الذى أحال حياتها من الجحيم الى السعادة...يوم قابلت ذلك الشاب التى أهداه اليها القدر لتستفيق من غيبوبتها الطويلة..ولكنها للاسف...أساءت استخدام تلك الهدية وبدلاً من أن تفتح صفحةً جديدة ناصعة البياض لطخت صحيفتها كلها بالسواد...كان ذلك في خريفٍ مشمس مثل صباح اليوم بعد عناءٍ طويل للبحث عن منزل يعصمها من بيت عمّها.. وصلت الى المنزل الجديد وهى ناقمة على حياتها وعلى كل شىء..تسير بخطوات عصبية وتخرج حقائبها من سيارة الاجرة..تحاول حملها فتستثقلها يداها..أنزلت الحقائب وحاسبت السائق ثم ذهبت وهى تودّعه بالسباب :

ـ راجل معندوش ذوق دة حتى معرضش عليّا المساعدة ناس مقرفة.. أووف

كانت تتمتم بعبارات الغضب وهى متجهة الى مدخل العمارة فلم تنتبه الى ذلك الشاب الذى نزل الدرج على عجل حتى اصطدمت به فانفلتت الحقيبة من يدها :

ـ مش تبص قدامك..يعنى مفيش زوق وكمان مبتشوفوش

قالتها وهى تحاول حمل الحقيبة من الارض فسبقتها يده وقال بنبرة أسف :

ـ انا اسف بجد مكانش قصدى..بس كنت نازل بسرعة ومخدتش بالى

اعتدلت سلمى في وقفتها وتركته يعفيها من حمل الحقائب ثم قالت:

ـ خلاص حصل خير

رفع الشاب بصره ليجد زهرةً متفتحه تعتلى عرش هذا الخريف وتأبي أن تخضع له كباقي الازهار أطال النظر اليها واعترته سعادة مفاجئة وتمنى ان تكون هذه هى الساكنة الجديدة فسألها بابتسامه افترشت بساط وجهه :

ـ هو حضرتك السكان الجداد ؟؟

انزلت نظارتها السوداء عن وجهها لترى امامها شابًا في عنفوان شبابه طويل القامة حسن القسمات يصبُّ بصره عليها فأجابته بسخرية:

ـ ايوة حضرتى السكان الجداد

توتر الشاب وأدرك أنه بدأ يفسد الامر كعادته فأراد ان يصلح الامر سريعًا :

ـ لا مش قصدى..اقصد يعنى العائلة كلها وكدة

ابتسمت سلمي وقالت لنفسها قبل ان تجيب :

ـ كنت ناقصة انا واحد اهبل عشان اليوم يكمل

ثم التفتت اليه وقالت :

ـ لا هو في الحقيقة انا عائلة حضرتى وانا السكان الجداد
قطب يوسف ما بين حاجبيه وحك رأسه بسبابته اليسرى محاولاً استيعاب ما تقول..أشاحت سلمى وجهها عنه ووضعت يدها على فمها تحاول كتم ضحكتها وتحدث نفسها :
ـ لا ده طلع اهبل فعلا
ارادت ان توفر عليه مشاق التفكير فأردفت سريعًا :
ـ اقصد يعنى ان انا الساكنة الجديدة..ممكن بقي تساعدنى في شيل الشنط عشان مش هعرف اطلعها لوحدى ؟؟
شعر يوسف بالحرج فهو شخص خجول ولا يجيد التصرف في مثل هذه المواقف فآثر الصمت..ساعدها في حمل الحقائب حتى وصلت الى الدور الثالث فطلبت منه وضعها عند الباب..شكرته على المساعدة فأومأ برأسه في خجل وذهب الى طريقه.
منذ ذلك اليوم أصبحت تراه كثيرًا فتلقي عليه التحية ويتبادلا أطراف الحديث حتى انحلت عقدة خجله شيئًا فشيئًا وبدأت تعرفه على حقيقته..وجدت فيه شابًا رائعًا فبدأ الاعجاب يتسلل الى قلبها...تبادلا ارقام الهاتف وأصبح يتصل بها بين الحين والآخر ويتحدثان عبر الانترنت حتى اصبحا وكأنهما يقضيان اليوم كله معًا تخبره بكل ما حدث معها في الجامعة ويخبرها هو الاخر بكل شيء...علمت منه انه في عامه الجامعى الاخير

في كلية الحقوق وعلم هو منها انها أمضت معظم حياتها في الكويت ثم نزلت هنا للالاتحاق باحدى الجامعات الخاصة لتكمل دراستها أخبرها ان هو أيضًا له اخ سافر الى الخارج للعمل وانه يعيش الآن مع والدته وحدهما بعد وفاة والده..حاولت التقرب من والدته ولكن مُنيَ الامر بالفشل فلم تجد منها قبولاً ولم تعرف سبب ذلك الجفاء لكنها لم تهتم بالامر واكتفت بيوسف..أخبرها كل شيء عنه حياته ودراسته وهواياته وطموحاته وأخبرته هى بدورها عن حياتها بالكويت والصداقات التى كونتها هناك والمطاعم والاماكن التى اعتادت زيارتها لكنه لم يعرف الكثير عن حياتها الشخصية فكلما أراد ان يسألها عن عائلتها كانت تحاول تغيير الموضوع أو الرد بكلمات مختصرة ،لم يرد هو الالحاح بالاسئلة حتى لا يكون متطفلاً واكتفي بالحديث في بقية الاشياء...بدأت تحبه وتتعلق به وشعرت أنه يبادلها نفس المشاعر لكنه لم يبح لها بالامر بعد، كانت تنتظر هذا اليوم على أحر من الجمر..تعد الثوانى والدقائق والساعات وتحلم بتلك اللحظة التى سيصارحها بها لتنسي العالم بما فيه وتتراقص على أنغام تلك الكلمة ويطير قلبها ليرفر حول القمر وبين النجوم ...حتى أتى ذلك اليوم الموعود...استيقظت في صباح ذلك اليوم على صوت الهاتف فتحسست مكانه بيدها وأخذته من فوق الكمودينو المجاور

لسريرها، فتحت احدى عينيها وتركت الاخرى مغلقة لتضغط على زر الاجابة..أجابت بصوتٍ مشبع بالنوم :

ـ الو

ـ ايه يا بنتى كل ده نوم..قومى بسرعة

فتحت عينيها بصعوبة وحاولت الانتباه :

ـ يوسف!!

ـ انتى لسه هترغى يلا قومى البسي

ـ البس ايه يابنى هى الساعة كام دلوقتى؟؟

ـ الساعة 6 يا كسولة

ـ نعم!! في حد يتصل بحد الساعة 6 الصبح..ده انا مبصحاش كدة ايام الجامعة

ـ بقولك ايه ورانا يوم طويل وعايزين نلحقه من أوله

ـ انت شكلك فاضي وانا عايزة انام

ـ استنى بس انا مش وعدتك انى هخليكى تلفي مصر كلها اول ما الاجازة تيجي؟؟

ـ ايوة..بس ده انهاردة اول يوم..لسة قدامنا اسبوعين نخرج فيهم

ـ لا ما احنا هنخرج طول الاسبوعين

اعتدلت سلمى في جلستها وضحكت من قرارات ذلك المجنون التى اتخذها دون حتى الرجوع اليها وقالت :

ـ مش عارفة عملت مصيبة ايه امبارح عشان اصطبح انهاردة بيك..طيب هقوم البس

ثم اغلقت الخط واغتسلت وبدلت ثيابها واتصلت به لتخبره بأنها استعدت...أخذها يوسف لاحدى المطاعم المفضلة لديه لتناول طعام الافطار وأثناء تناولهم الطعام سألته بفضول وحماس :

ـ ايه بقي هتوديني فين انهاردة

رد عليها بفخر مصطنع :

ـ استنى بس يا بنتى ده انا عاملك حتة مفاجأة

ـ ايه ده للدرجه دى مكان حلو؟؟

ـ حلو بس!! ده انا هخليكي كل يوم تتصلي بيا تعيطيلي وتقوليلي عشان خاطرى يا يوسف وديني هناك تانى وتشبطي بقي وانا افضل اقولك مش فاضي وانا غلطان انى عودتك عليا بقي واحاول اخلص منك ومعرفش

أطلقت سلمى ضحكة عفوية أمالت رأسها الى الامام ثم قالت :

ـ لا متخافش انت وديني هناك بس ولو عجبنى هبقي احفظ الطريق واروح لوحدى

ـ ايه ده تروحى لوحدك...لا خلاص بصي انا ممكن ابقي اوديكي كل فترة كدة عشان متصعبيش عليّا بس اصل انتى عارفانى قلبي طيب وانتى بردو في مقام جارتى

ضحكت سلمى مرةً أخرى ثم تركت الشوكة والسكينة من يدها ونهضت لتمسك بيده وتدفعه معها وتقول :

ـ طب يلا بقي عشان نلحق نروح ونشوف اكتشافاتك العظيمة

بعد مرور ساعة تقريبًا كانا يقفان أمام المتحف المصري وهو يشير اليه بمرح ويقول :

ـ ايه رأيك في المفاجأة دى

حدقت به سلمى بذهول وقالت :

ـ هو ده المكان التحفة اللى هعيط عشان اروحه تانى!! جايبنى متحف يا يوسف

كتم يوسف ابتسامته وقال لها مصطنعًا الجدية :

ـ ايوة طبعا يا بنتى...انتى طول عمرك عايشة بره ولازم تعرفي تاريخ بلدك

وضعت سلمى يدها اليمنى على رأسها مظهرةً قلة الحيلة :

ـ اعمل ايه فيه ده..مصحيني من الساعة 6 عشان يجيبنى متحف..طب كنت تقولى انك عايزنى اعرف تاريخ بلدى وانا كنت عملت سيرش على النت ووفرت عليك التعب ده

ضحك يوسف ثم اصطنع الوطنية والبسالة وقال :

ـ إذا لم نشقي في حب مصر فمن ذا الذى يستحق العناء

ثم أمسك يدها ليسحبها معه الى باب المتحف وقال :

ـ هيّا يا فتاة فأمامنا الكثير لنعرفه

أخذها يوسف في جولة داخل المتحف بدأها بالطابق السفلي وأخذ يخبرها ببعض المعلومات التاريخية عن كل عصر ابتداءًا من عصر الاسرات ومرورًا بالعصور الوسطى حتى انتهاء العصر اليونانى الرومانى وسلمى تستمع إليه في سأم لا تبالى بكل تلك المعلومات المملة التى لا تعنيها في شىء حتى وصل الى الطابق العلوى حيث التماثيل والمخطوطات والموميات الملكية فأشار الى إحدى المخطوطات وقال:

ـ دى بقي رسالة من أنطونيو لكليوباترا لما كانت منفضاله بيقولها فيها حنى علينا شوية وبلاش التنفيضة دى مش علشان انتى ملكة يعنى هتلفي مع كل واحد شوية انا بردو ملك وعندنا في بلدنا بنات حلوة كتير بس أنا اللى نفسي حلوة

نظرت له سلمى بتشكك وقالت :

ـ بقي أنطونيو هيقول لكليوباترا كدة !!

ـ اه طبعًا يابنتى انتى شاكة في ترجمتى ولا ايه

ـ لا طبعًا حد يقدر يقول كدة بس وطي صوتك وانت بترجم علشان منطردش انا وانت من هنا

ضحك الاثنان ثم قال لها يوسف :

ـ بعد الاف السنين هييجي احفاد احفادنا ويقولو كان فيه محاولة اغتيال لجدو هنا في اول خروجة حب يفسح فيها تيتا وهو بيترجملها المخطوطات

واصلت سلمى الضحك ولم تنتبه الى تلك الجملة ثم توقفت فجأه :

ـ ثانية واحدة كدة...جدو وتيتا مين !!

رد يوسف بابتسامة دافئة أذابت قلبها :

ـ جدو يوسف وتيتا سلمى

اتسعت حدقتا عينيها وفغرت فاها وتجمدت في مكانها فضحك لمنظرها ووقف خلفها ثم دنا من أذنها وهمس لها بحنان :

ـ بحبك يا أحلى بنوته في الدنيا

تسارعت دقات قلبها وارتفع صوتها حتى تهيأ لها ان الجميع يسمعها وضعت يدها على صدرها لتحاول ايقاف تلك النبضات او تهدئة روعتها..فجأه احبت كل شيء..احبت التاريخ وأحبت كليوباترا وأنطونيو أحبت الآثار والمخطوطات وجميع متاحف العالم...أحبت كل شيء بعدما سمعت تلك الكلمة...أدركت حينها انها بالفعل تحبه بل اكثر مما كانت تعتقد ادركت ان حياتها لم يكن لها معنى حتى جاء هو بكل معانى الحياة...تمنت لو أنها ولدت فقط في هذه اللحظة ليبنيا معًا حياةً لا يلوثها شبح الماضى .

لم تحتمل سلمى ألم الحنين الذى يمزّقها والدماء التى تهطل من جرحها أكثر من ذلك، لم تستطع رؤية قلبها يتهتك وهى لا تستطيع مداواته أو ترك أحد يداويه..ليتها صارحته بكل شيء

حينها ولم تتمادى في الكذب ،لقد خشيت فقدانه ففقدته الى الابد..بدأت العلاقة بكذبة فتمادى الكذب حتى تحول الى خداع وخيانة. هكذا هى دوّامة الذنوب تبدأ بذنب نستصغره فننزلق في تلك الدوامة ولا نخرج منها الا وقد تجردنا من جميع ثياب الفضيلة..سقطت دمعة بطيئة على خدها لتكويه وتحفر آثارها على وجهها وكأنها ماء من نار..رحلت عن شاطىء الذكريات بعد ان تحطمت سفينتها وتركتها سجينة في صحراء الواقع..فجأة شعرت ان أشعة الشمس تحرقها وأن منظر الخضرة يخنقها وأن الهواء يسحب منها ويبخل بنفسه عليها ..

في اليوم التالى اتصل يوسف بمدام سماح ليسألها عن مصطفي فطلبت منه ان تقابله ولكن في مكان بعيد عن المنزل بعد موعد العمل ..في تمام الساعة الخامسة والنصف كان قد وصل يوسف الى المطعم فوجدها تجلس ساهمة تنظر عبر النافذة في شرود..لم تنتبه الى وصوله حتى سحب المقعد المقابل وجلس ثم بدأ حديثه :

ـ حضرتك هنا من بدرى؟؟

انتبهت اليه أخيرًا فقالت :

ـ لا أبدًا لسة واصلة من شوية

ـ مصطفي عامل ايه دلوقتى؟؟

اغرورقت عيناها بالدموع واطرقت رأسها الى اسفل وقالت:

ـ من ساعة ما عرف وهو حالته بقت سيئة جدًا لا بياكل ولا بيذاكر ولا حتى بيركز مع المدرسين أنا مش عارفة اعمل معاه ايه الولد في تالته ثانوى وكدة مستقبله هيضيع..كان مستخبيلي فين بس كل ده ياربي

عضَّ يوسف على شفته السفلية في ألم ولم يدرى بماذا يجيب..بداخله شعور بالذنب تجاه هذا المراهق الذى سيكون سببًا في تدمير مستقبله ولكنه يعود ليخبر نفسه ان مثل هذا الخبر لم يكن ليظل مختفيًا لوقت طويل جمع كلماته ثم قال:

ـ انا في حاجة في دماغى بفكر فيها بس عايز استنى كمان كام يوم لحد ما نشوف هيفوق ولا هيفضل كدة

ـ حاجة ايه؟؟

ـ انا مش عايز اتسرع لأن الموضوع ده ممكن يأثر عليه بالعكس أنا مش ضامن نتيجته

ـ طب ايه هى عرفنى

ـ هقولك بس بعد ما اعرف الاول بقيت الموضوع..كمليلي اللى حصل

وضعت يدها اليسرى على جبينها ثم عينيها فأدرك يوسف انها تسترجع أحداث مؤلمة يصعب عليها ذكرها فأراد أن يعطيها بعض الوقت لتستجمع قواها وقال :

ـ انا جعان أوى ممكن تقبلي أعزمك على العشا؟؟

ـ لا انا مليش نفس
ـ لا مهو ميصحش انا اكل وحضرتك لا..وبعدين لازم تجربي أكل المطعم ده هيعجبك اوى
ـ بجد مليش نفس بالهنا والشفا كل انت
ـ لا خلاص انا هطلب ليّا ولحضرتك
ثم نادى سريعا على الجرسون وطلب ما يريد من الطعام ..حاول التحدث قليلًا عن أنواع الطعام المفضلة لديه في هذا المطعم حتى قاطعته :
ـ مش عارفة ايه اللى خلانى اقبل اقعد واسمعه...اسلوبه وقتها كان مختلف تماماً عن أسلوب اول مرة كأنه حد تانى..اعتذرلي وفضل يتكلم والغريب ان انا كمان اتكلمت معاه ولا كأن حاجة حصلت..حتى لما قابلت سها تانى يوم في الجامعة معملتش أى حاجة متعصبتش..متخانقتش معاها كنت في عالم تانى أول مرة أدخله يمكن عشان كانت أول تجربة ليا وخصوصًا ان انا انطوائية ومش بحب اتعرف على حد وهو دخل حياتى بمنتهى الجرأة والتطفل...مكانش عندى الخبرة الكافية اللى تخليني أميز هو ده شخص جرىء ولا انسان مش طبيعي..اتكررت خروجاتنا وبدأت أكدب على ماما لما أتأخر عن البيت وساعات مكنتش بروح الجامعة أصلاً..اتعلقت بيه جدًا لدرجة إنى لما كان بيعدى فترة مش بقابله او بيضايق ببقي مش طايقة نفسي

وبفضل اتعصب..حتى ماما وبابا لاحظوا التغيرات دى عليّا وبدأوا يشكوا فيّا خصوصًا ان اختى اتجوزت ومبقاش فاضل غيري...اللى طمنى أكتر إنه عمره ما تجاوز حدوده معايا لحد ما جه يوم وعرض عليّا انه يتقدملى :

ـ سماح انا عايز اقابل بباكى

ـ ليه ؟؟

ـ انا عايز اتقدملك

لم تصدق سماح نفسها من شدة المفاجأة وقفت مشدوهة تحدّج به دون ان تجيب فأردف قائلاً :

ـ ها..اجى اقابله امتى؟؟

عادت سماح الى رشدها وقالت :

ـ بس لو سالك على الشغل هتقوله ايه؟ والشقة؟؟ومين اللى هييجي معاك؟؟

ـ ما انتى بقي لازم تساعديني

ـ ازاى؟؟

ـ بصي انا هجيب معايا أخوية لانى زى ما انتى عارفة بابا الله يرحمه وماما عايشة في البلد

ـ طب وبالنسبة للشقة؟؟

اضطرب وائل قليلاً ثم قال :

ـ متخافيش امرها هيتدبر..وبالنسبة للشغل هقوله ان احنا عندنا محل شرك بيني انا واخوية

ـ بس ده مش بتاعكوا يا وائل

اكفهرّ وجه وائل وقال في غضب :

ـ شكلك مش عايزانا نتجوز

أسرعت سماح في قلق :

ـ لا لا مش قصدى...خلاص ماشي انا موافقة ، هفاتح بابا في الموضوع وهخليه يحدد معاد واقولك

ابتسم وائل ابتسامة لم تستطع سماح تفسيرها فتوقعت ان تكون من السعادة وعادت الى منزلها وهى تفكر كيف ستفاتح والديها في الموضوع..دخلت الى المنزل وتوجهت الى المطبخ حيث والدتها وأطرقت رأسها فتنبهت لها والدتها وقالت :

ـ ايه يا سماح؟؟عايزة تقولى حاجة؟؟

تلعثمت سماح قليلاً قبل ان تجيب :

ـ لا..أصل..بصراحة يا ماما في موضوع عايزة اتكلم معاكى فيه

قالت والدتها وهى تقطع بعض الخضراوات :

ـ طب ما تتكلمى

ـ في عريس عايز يتقدملى

تركت والدتها السكين من يدها ونظرت اليها في دهشة وقالت :

ـ انتى مش كنتى رافضة الجواز وبتتحججى بالدراسة
ـ ما انا خلاص قربت اخلص دي اخر سنة ليّا
ـ طب ما احنا ياما قلنالك يا بنتى خطوبة بس ولما تخلصي نبقي نعمل الفرح اشمعنى دلوقتى موافقة
امتعضت سماح وقالت :
ـ يعنى موافقة ولا لا
نظرت لها والدتها في شك ورفعت حاجبها الايمن وقالت :
ـ لما بباكي ييجي نبقي نتكلم في الموضوع ده
ازدردت سماح ريقها ثم عادت بخطى متثاقلة الى غرفتها وأخذت تفكر كيف ستقنع والدها بالامر وكيف ستبدأ حديثها، ان والدها رجل متفاهم لا يلجأ عادةً الى الشدة ولكنه صعب الارضاء وكثير الاسئلة على عكس والدتها التى لديها طبع حامى ولكنها طيبة القلب ويسهل اقناعها بما تريد..عاد والدها من العمل فأسرعت لتساعد والدتها في تحضير المائدة..بدّل والدها ملابسه وعاد لتناول الطعام ..تناول الجميع الطعام في صمت وبعد الانتهاء قامت لتحمل الاطباق الى المطبخ ثم سألت والدها :
ـ بابا اعمل لحضرتك كوباية شاى ؟
أومأ عبده برأسه علامة الموافقة فذهبت على الفور لتحضير الشاى وبعد ان انتهت من غسيل الاطباق واعداد الشاى عادت

لتضع الصينية على الطاولة وجلست بجوار والدها الذى كان يشاهد التلفاز في صمت فبدأت حديثها :

ـ بابا كنت عايزة اتكلم مع حضرتك في موضوع

ـ خير؟؟

ـ في عريس عايز يتقدملى ومستنى الاذن من حضرتك

أخفض الوالد صوت التلفاز ليستمع الى حديث ابنته والتفت اليها بعد ان ارتشف رشفةً من كوب الشاى ثم قال :

ـ وده مين ده بقي ؟؟

ازدردت سماح ريقها ثم أجابت :

ـ هو شاب بيشتغل في محل قريب من الجامعة شافنى كذا مرة وانا جاية من الجامعة وسأل عنى وكدة

ـ بيشتغل ايه ولا ابن مين ولا ايه ظروفه

ـ هو اصلا من الشرقية بس عايش هنا في القاهرة مع اخوه عشان ليهم محل عطارة

أطرق والدها هنيهة ثم قال :

ـ خليه ييجي يوم الخميس الساعة 7

تدخلت والدتها التى كانت تحيك بعض الملابس وتستمع الى الحوار في غضب :

ـ ييجي كده واحنا منعرفش لا اصله ولا فصله ولا اى حاجة وسيبنا المحترم واللى عارفينه هو واهله

قطب عبده ما بين حاجبيه وقال:
ـ مانا وافقت اقابله عشان اعرف الحاجات دى احنا مش هنجيبه يكتب الكتاب
شعرت سماح ببعض الارتياح فقد كان الامر اسهل مما توقعت ولم يسألها عن المزيد من التفاصيل...في صباح اليوم التالى قابلت وائل واخبرته بان والدها وافق على مقابلته واخبرته الميعاد .
في تمام السابعة من يوم الخميس كان قد حضر وائل ومعه أخيه سليم حيّا والديها وأعطى وائل باقة الازهار وعلبة الحلويات الى والدة سماح ثم ذهبوا جميعًا الى غرفة الجلوس بينما ذهبت كريمه الى المطبخ لاعداد القهوة وتركت زوجها يتحدث معهما وبدأ سليم حديثه :
ـ احنا جايين انهاردة يا عمى زى ما سماح قالت لحضرتك عشان نطلب ايدها لوائل
ابتسم الاب ثم قال :
ـ انت اخوه الكبير ؟؟
ـ ايوة
ـ سماح قالتلى ان والدكم متوفي ووالدتكم في الشرقية
ـ أيوة احنا والدنا متوفي من فترة واحنا عايشين هنا في القاهرة
ـ ووائل بقي بيشتغل ايه؟؟

اضطرب واثل إثر هذا السؤال فأجاب سليم نيابة عنه :
ـ احنا عندنا محل عطارة هنا شرك بيني وبينه بتاع والدنا الله يرحمه
ـ طب وبالنسبة للشهادة؟؟
أجاب وائل :
ـ انا معايا دبلوم صنايع
ـ انت عارف ان بنتى في اخر سنة تجارة السنة دى ؟؟
ـ ايوة يا عمى بس انا الحمدلله شغال وهقدر أصرف عليها وأعيشها كويس
ـ انا طبعا يهمنى اخلاقك وانك تكون بتتحمل المسؤولية وهى تكون متقبلة الموضوع ده
ـ متقلقش يا عمى انا هاخد بالى منها كويس ومش هخليها تحتاج حاجة
دخلت كريمة لتضع القهوة فانقطع الحديث..ناولت كل منهم قهوته ثم ذهبت لتقف حيث كانت وتستمع الى الحديث فأتبع الوالد حديثه :
ـ طب وبالنسبة للشقة ؟؟
أجاب سليم :

ـ احنا عندنا شقة عايش فيها انا واخوية هنا علشان ندير الشغل وان شاء الله هشتري شقة تانية واسيب دى لوائل بس لحد ما الامور تتظبط ممكن يتجوزوا دلوقتى في شقة ايجار

أطرق عبده يفكر ثم قال :

ـ طيب ادونا مهلة كام يوم اكون فيهم اخدت قرار وياريت لو أقدر اشرب معاكم الشاى مرة في المحل بتاعكم

امتقع وجه وائل ولم ينطق بكلمة واحدة فأجاب سليم في هدوء :

ـ خلاص مفيش مشكلة حضرتك تشرفنا في اى وقت

ثم أخرج نوته صغيره من جيبه وقلم وقال :

ـ انا هكتب لحضرتك تليفون المحل والعنوان بالظبط لما حضرتك تحب تيجى اتصل بالرقم ده عشان نكون موجودين لمقابلة حضرتك

كتب سليم البيانات ثم أعطاها لوالدها الذى القي نظرة عليها قبل ان يطويها ويضعها في جيبه ويهم بالنهوض لتحية الشابان انتهت المقابلة على هذا النحو فخرجت كريمة وذوبعة الغضب تحوم حولها :

ـ ايه اللى انت عملته ده يا عبده ازاى توافق على واحد معاه دبلوم

ـ اهدي يا كريمة الراجل بيقول انه عندهم محل ووالده متوفي وهو واخوه بيشتغلوا شغلانة شريفة ايه اللى يعيبه

ـ يعنى ايه ايه اللى يعيبه بنتى بعد ما تتعلم وتدخل جامعة وترفض عرسان اشكال والوان اجوزها لواحد في شقة ايجار ومعاه دبلوم

ـ يا كريمة احنا لسة ماديناش موافقة نهائية لسة لما نسأل عنه وعن اخلاقه

تركته كريمة وهى تضرب كفًا بكف وتهمهم بعبارات الغضب وتقول :

ـ انا مليش دعوة اللى عايز حاجة يعملها ما انا خلاص مبقاش ليّا كلمة في البيت ده

دخلت سماح الى غرفتها بعد ان استمعت لما يدور بين والديها وهى تقف في المطبخ وأخذت تحدث نفسها:

ـ ايه اللى انا عملته ده..ده بابا عايز يروحلهم المحل..ياريتنى ما سمعت كلامه..يارب استرها معايا يارب

في الجانب الاخر بعد انتهاء الزيارة وبمجرد وصولهما الى المنزل أخذ وائل يعنّف أخاه :

ـ ايه اللى انت عملته ده الراجل عايز ييجي يزورنا في المحل وشقة ايه اللى هنشتريها وشقة ايه اللى تمليك

ـ انا هتصرف ملكش دعوة

ـ تتصرف ازاى انا مش موافق على اللى بيحصل ده أنا مش هكمل في الموضوع ده

نظر اليه سليم والشرر يتطاير من عينيه..أمسك بكتفيه وضغط عليهما وقال :

ـ بقولك ايه انت اللى لعبت اللعبة دى من البداية يبقي تكملها للاخر..انا مش هصرف عليك طول عمرى..مش انت بردو اللى قولتلى انها فرصة متتعوضش بنت حلوة وفي الجامعة وهتشتغل بعد الجامعة وهتوفر عليك كتير

نظر اليه وائل ولم يجب فأردف سليم :

ـ ما ترد ولا انت فالح بس تمشي معاها وتخرجها وتاكل دماغها بكلمتين وتيجي عند الجد تخلع ؟؟

ـ يا سليم مهو بردو انا متوقعتش ان المواضيع هتوصل لكدة

ـ يابنى انت اهبل؟؟ طبيعي راجل هيجوز بنته لواحد لازم يبقي عارف عنه كل حاجة وبعدين متخافش انا مدتهوش رقم المحل انا اديتوا رقم المحل اللى انا بشتغل فيه انا هظبط كل حاجة في اليوم اللى هيجيلك فيه.

لم تستطع سماح اخفاء القلق البادى على وجهها عن عائلتها فهى لا تعلم كيف وافقت على مثل هذه الكذبة انها تعلم انها بذلك تخدع والديها ولا تعلم ماذا ستكون عاقبة الامور ولكنها لم تجد بديلاً لهذا فهى ترتعب بمجرد تخيل انه ربما يرفضه ابيها ولا يتم هذا الزواج لذا آثرت عدم التفكير وترك الامور كما هى عليها.

وبعد أيام اتصل عبده بالرقم المكتوب في الورقة فرد عليه سليم واخبره انه سيأتى لزيارة المحل في اليوم التالى..ذهب سليم الى صديقه الذى يعمل في محل العطارة وطلب منه ان يسديه معروفًا بان يترك وائل يلازمه في ذلك اليوم على انه صاحب المحل الى حين انتهاء الزيارة واختلق له سببًا ليوقف تساؤلاته، في البداية اعترض الرجل على هذا الطلب خوفًا من انقطاع رزقه اذا حضر صاحب المحل فطمأنه سليم وأخبره بأنه سيتولى كل شىء حتى وافق أخيرًا على مضض .

أتى عبده للزيارة فاستقبله وائل ورحب به وطلب له الشاى وجلسا للتحدث قليلاً انتهى اليوم ولم يصل وائل الى عقاد نافع ، لم يشعر والد سماح بالارتياح الى ما يحدث فقرر التروّى والسؤال عن هذا الشاب أكثر فطلب منه مقابلة والدته .

عاد وائل الى المنزل فأخبر سليم بما حدث استمع له سليم بانصات ثم قال :

ـ متخافش الحاجة أمرها سهل دى لما هتصدق تخلص منك

ـ بس يا سليم ماما مش هتوافق تكدب وكدة هيبوظ كل اللى ظبطناه

ـ يابنى الحاجة مبتعرفش تقرأ ولا تكتب ولو قولنالها اى حاجة هتصدق متخافش..احنا بس هنأكد عليها متتكلمش كتير واى حاجة نقولها متعلّقش عليها.

وبعد مرور 3 ايام كان وائل وسليم ووالدتهما حاضرين بمنزل سماح ، جلس عبده وكريمة مع الضيوف ورحبا بهم وطرح بعض الاسئلة حول ظروفهم وعملهم فتناولا الحديث ولم يسمحا لوالدتهما بالتدخل حتى لا تفسد الامر حتى تطرقوا بالحديث الى الشقة التى سيتزوجان بها :

ـ انا طبعًا وافقت ان بنتى تتجوز في شقة ايجار لحد ما سليم يشترى شقة ليه ويسيب دى لوائل

تعجبت السيدة مما سمعته وقالت :

ـ انهى شقة؟؟هى مش هتيجي تعيش معايا؟؟

أسرع سليم لانقاذ الموقف :

ـ ايه يا حاجة احنا مش اتكلمنا في الموضوع ده وقولنا انهم هيعيشوا هنا ان شاء الله؟؟

نظرت اليه والدته بدهشة فأردف عبده قائلًا :

ـ كلام والدتك مبيقولش انكوا اتكلمتوا في الموضوع ده

أسرع سليم بالرد :

ـ لا طبعًا متكلمين في الموضوع ده بس معلش الحاجة ذاكرتها بعافية شوية

قطبت السيدة ما بين حاجبيها و نظرت الى ولديها

حاول وائل تدارك الموقف :

ـ مش نقرى بقي الفاتحة يا عمى

لاحظ الوالد اضطرابهما وعلم ان هنالك شيء ما فقال :
ـ معلش احنا هنأجل قراية الفاتحة دى شوية...عمومًا انتوا شرفتونا
قال جملته الاخيرة وهو يهمّ بالوقوف لاعلان انتهاء الزيارة..قام بتحية الضيوف ثم أوصلهم الى الخارج ، عاد الى الداخل ونادى على ابنته في غضب :
ـ سماح..تعالى هنا
اسرعت سماح الى حجرة الجلوس وهى تضع يدها على صدرها من شدة الخوف والافكار تتضارب في رأسها تخشى من ان تكون افتضحت كذبتها ولكن سرعان ما قطع والدها الشك باليقين :
ـ الجوازة دى مش هتتم
قالت كريمة :
ـ انا مكنتش مرتاحلهم من البداية
فأضاف عبده :
ـ الناس دى مش صريحة وشكلهم مش مريح..الجوازة دى مش هتتم
لم تتمالك سماح نفسها اكثر من ذلك وقالت بحزم والدموع تنهمر من عينيها :
ـ وانا مش هتجوز غيره يا بابا

ـ انتى بتعارضي كلامى ؟؟ انشاالله ما اتجوزتى ويالا امشي على اوضتك

أسرعت سماح الى غرفتها وانكبت على السرير وظلت تبكي طوال الليل بينما كان والديها يستشيطان غضبًا وتقول كريمة :

ـ اصلنا معرفناش نربي ماشاء الله البت خلاص مبقتش لاقية اللى يلمها

استيقظت سماح في اليوم التالى مقرّحة الجفون عازمة على ان تخوض هذه الحرب مع عائلتها..نزلت الى الجامعة دون تناول الافطار ولم تتوجه بالحديث الى أى من والديها..ذهبت لمقابلة وائل وأخبرته بأن والديها يرفضان هذا الزواج ولكنها لن تتنازل عن موقفها مهما كلّفها الامر..عادت الى المنزل وواصلت حملة الاضراب عن الطعام ، ظلت هكذا تعود كل يوم فتغلق على نفسها الغرفة ولا تتحدث مع أحد ولا تتناول الطعام حتى هزل جسدها وأصابها الاعياء وأشفق عليها والديها وخشيا من أن يفقداها، جلست كريمة تتحدث مع زوجها :

ـ انا هموت من خوفي عليها مش قادرة استحمل منظرها كدة

ـ طب والحل؟؟نجوزها لواحد نصاب؟؟

ـ يعني نسيبها تموت؟؟

أطرق عبده في ألم لا يعلمِ ماذا عساه ان يفعل مع تلك الفتاة التى اصبحت متمردة حديثًا ثم قال :

ـ بصي بقي احنا عملنا اللى علينا وحاولنا معاها خلاص يبقي تتحمل نتيجة اختيارها

ـ قصدك ايه نوافق ؟؟

ـ انتى عندك حل تانى؟؟

ـ مش عارفة بقي انا خلاص هتجنن

ـ طب استنى

قام عبده الى غرفة ابنته، طرق الباب ودخل عليها فوجدها نائمة على السرير تدير ظهرها الى الباب ..جلس على طرف السرير وبدأ حديثه قائًلا :

ـ بصي يا بنتى انتى خلاص كبرتى وتقدرى تاخدى قراراتك بنفسك

انتبهت الى حديث والدها ولكنها لم تدر ظهرها :

ـ لو انتى شايفة ان هو ده الانسان المناسب ليكي خلاص انتى حرة

اعتدلت سماح في جلستها وتوجهت ببصرها الى والدها في فرح وقالت :

ـ يعنى حضرتك موافق؟؟

ـ بس عندى شرط

ـ شرط ايه؟؟

ـ هتتحملى نتيجة اختيارك بالكامل

نظرت له سماح في قلق وقالت :

ـ يعنى ايه؟؟

ـ يعنى اى حاجة هتحصل بعد كدة احنا ملناش دخل بيها ملاقيكيش جيالنا بشنطة هدومك ولا تطلبي الطلاق لما تشوفيه على حقيقته بعد كدة

ازدردت سماح ريقها وبدأ القلقيتسرب اليها ولكنها سرعان ما حسمت امرها وقالت باصرار :

ـ ماشي انا موافقة

نظر اليها والدها نظرة ندم وقلة حيلة ثم قال :

ـ خليه ييجي يقابلنى عشان نتفق

احتضنت سماح والدها في فرح وقالت :

ـ ربنا يخليك ليّا يا بابا

عادت مدام سماح مرةً أخرى الى يوسف :

ـ وفعلاً للاسف تم الزواج وياريته ما تم

أضاف يوسف :

ـ طبعًا اكتشفتى ان اهلك كان معاهم حق

ـ ياريت كان معاهم حق وبس..انا اكتشفت انه انسان مريض وأخوه هو اللى بيحركه اكتشفت كل حاجة بعد الجواز ، طلع مزاجى بطريقة مرضية ساعات يبقي كويس وفجأة يقلب..اكتشفت انه مش هيشترى شقة زى ما قالى ولا اخوه

هيسيبله الشقة اللى قاعد فيها..بقيت انا اللى بشتغل وبصرف على البيت وبدفع الايجار وهو طول النهار برة معرفش بيروح فين ولا بيعمل ايه..بس طبعًا مكنتش اقدر اتكلم ولا اشتكى لانى انا اللى جبته لنفسي فضلت على الحال ده سنتين كل ما اتكلم معاه يقولى بكره تتعدل وهنزل اشتغل وادور على شغل لكن طبعًا كان مجرد كلام..فضلت على الحال ده سنتين لحد ما حملت في سلمى ومبقتش اقدر انزل الشغل..مبقاش عندنا فلوس ولا بقينا عارفين نسدد الايجار فاتنقلنا لشقة اصغر بايجار اقل كنت بدفع فلوسه من الفلوس اللى كنت محوشاها من وراه بس الفلوس خلصت.....

ـ حرام عليك يا أخى الجنين اللى في بطنى هيموت مفيش اكل ولا فلوس ولا حتى عارفين نسدد الايجار

ـ متروحى تطلبي من أبوكى فلوس انتى مش بنته

ـ انت ايه؟؟ معندكش دم ؟؟ يعنى هكون انا واهلى؟؟انت ناسي اللى عملته علشانك؟؟

ـ بقولك ايه انتى تروحى بكرة تطلبي منهم فلوس

ـ لا مش هطلب وكفاية بقي لحد كدة

اقترب منها وامسك بذراعها بعنف..حاولت ان تفلت ذراعها ولكنها فشلت..احكم قبضته عليها واقترب منها حتى اصطدمت بالحائط ودموعها تتدفق في صمت وقال:

ـ خلاص اياكى اسمع منك كلمة مفيش فلوس
افلت يديها بعنف وارتدى معطفه وتركها ترتعش من الخوف وعينيها تسابق امطار تلك الليلة العاصفة..أصبحت حياتها حالكة السواد وقلبها معتم كعتمة الليل القارص لا تدرى ماذا فعلت بنفسها هل هذا هو نفس الشخص الذى ضحت بكل شىء لأجله.. عارضت الجميع ولجأت الى الكذب وتغيرت طباعها منذ عشقته..انها تعلم ان الحب اعمى كما يقولون ولكنها لم تكن تدرى أنه أصم وأبكم لقد أصمت أذنها عن سماع الحقيقة وأخرست أفواه عقلها الذى طالما حذرها واستمهلها وكانت تلك هى النتيجة الطبيعية لكل ما حدث..كيف ستواجه والديها وهم أعلم الناس بحالها ماذا ستقول وهم من يسمعونها دون ان تتحدث...اضطرت الى الذهاب الى والديها في ذل وخنوع.. و ماذا عساهم يفعلون فهم يعلمون ما تمر به ابنتهم الغالية فهى مهما فعلت تظل ابنتهم الغالية يتألمون لألمها ويشعرون بحزنها جلست صامته تحيط بيديها جنينها الذى لم يرى النور بعد..تبحث له عن نور في حياتها كى لا يولد فيجد الخارج اكثر سوادًا من الداخل ..جلست ووضعت يدها على خدها في يأس فلم تحتمل والدتها السكوت :
ـ وبعين يا سماح في الحال ده ياماما حذرناكى وانتى مفيش فايدة فيكي

- .....

ـ انتى هتفضلي ساكتة كدة؟؟

مسحت سماح دموعها وقالت :

ـ طب اعمل ايه يا ماما

ـ بقولك ايه انا هقول لابوكى يطلقك منه وتيجي تعيشي هنا

ـ لا يا ماما مش عايزة بنتى تتولد من غير ابوها

استشاطت كريمة غضبًا وقامت من مجلسها وهى تنتفض :

ـ وهو ده أب بعد كل اللى عمله فيكي مش عايزة تسيبيه ده اكرملها تتولد من غير اب ولا تعيش مع واحد زى ده

انزعجت سماح من حديث والدتها فقالت بعصبية :

ـ انا جاية استلف منك فلوس وهردهالك في اقرب وقت هتديهالى ولا امشي؟؟

ـ بقي هى دى اخرتها يا سماح؟؟

أشاحت سماح وجهها بعيدًا عن والدتها لتدارى الالم والحرقة التى في عينيها ولم ترد، أخرجت كريمة مبلغ من المال ومدته اليها وقالت :

ـ انتى حرة يا بنتى اتفضلي الفلوس اللى طلبتيها

ـ ياريت متعرفيش بابا اللي حصل ده

ـ انتى مش هتستنى تشوفيه

ـ معلش يا امى بس لازم ارجع البيت

تركتها سماح وخرجت وهى تتمنى ان تنشق الارض وتبتلعها في تلك اللحظة .. ولكنها مجبرة على اكمال الطريق الذى بدأته..ولكن حتى هذا لم يدم طويلاً فلم يمر الكثير من الوقت حتى أتى هذا اليوم :

ـ وائل انت بتعمل ايه ؟؟

ـ انا مسافر الكويت

ـ مسافر وسايبنى وانا قربت اولد ؟؟

قال وهو مستمر في تحضير شنطة سفره :

ـ انا مضطر اسافر مينفعش اقعد ولا يوم في مصر

قالت وهى تحاول ايقافه ومنعه من اكمال تحضير اشيائه:

ـ طب انت عايز فلوس؟؟ انا هحاول ادبر اى مبلغ بس خليك متسافرش

أبعد يدها برفق وقال :

ـ مش هينفع لازم اسافر

قالها وهو يحمل حقيبته ويتجه بها نحو الباب..تبعته وهى تصرخ :

ـ ارجوك استنى..طب خدنى معاك..متسبنيش هنا لوحدى

نظر اليها بحنان ممزوج بالالم ثم احتضنها وترك عبراته تسيل على كتفها وقال بصوتٍ مكسور :

ـ سامحيني يا سماح على اللى بعمله فيكي...كان نفسي اشوف بنتى قبل ما اسافر

حاولت استعطافعه...امسكت بيديه ..حاولت منعه من الخروج لكنه لم يعرها اهتمامًا ورحل..جلست بجوار الباب تبكي بحرقة تريد اللحاق به ولكن الي اين؟؟ وكيف وهى فى مثل هذا الوضع..لماذا يسافر هكذا فجأة وبدون سابق انذار وما هو الامر الذى يجعله يرحل في جوف الليل فجأة ما الذى يحدث ومتى سيعود وكيف تستطيع الوصول اليه..أمضت ليلتها الكئيبة ما بين محاولة ادراك ما يحدث وما بين الاعياء لاقتراب وضعها..

ختمت مدام سماح حديثها وهى تنظر الى هاتفها وتقول :

ـ انا كدة اتاخرت اوى زمان مصطفي رجع البيت..انا لازم امشي

قام يوسف معها وهو يقول :

ـ طب هقابل حضرتك تانى امتى عشان تكمليلي الموضوع ؟؟

ـ بكرة ان شاء الله

ـ خلاص اتفقنا

أوصلها يوسف الى منزلها ثم اتجه الى منزله وظل يفكر في طريق العودة في تلك العائلة الغريبة ..لقد بدأت الامور تتضح له الآن ..يبدو انها ليست الوحيدة المذنبة في تلك القصة ...انه

لايستطيع الانتظار الى الغد ليعلم نهاية تلك القصة المأساوية...
من البديهي ان تنتهى بالانفصال فما بنى على باطل فهو باطل..علاقة بدأت بالكذب والخداع من المستحيل ان تنتهى بإحدى النهايات السعيدة التى يتغير فيها البطل لأجل البطلة ويعيشون في سعادة وإلا فأين هو العدل الالهى الذي يعطي لكل ذى حقٍ حقه وما ذنب والديها لتحمل نتيجة أخطاء ابنتهم..مرت الليلة رخيمة كئيبة على كل من يوسف وسماح وسلمى ومصطفي كل منهم يفكر في ما آلت اليه الامور وكيف ومتى ستنتهى تلك المأساة...

مر اليوم التالى روتيني هادىء على مدام سماح حتى أتى موعد المقابلة ..اتصل بها يوسف ليؤكد الموعد فاخبرته انها ستكون بانتظاره في نفس المكان..وبعد مرور ساعة كان قد وصل يوسف ليجدها سبقته كعادتها وتجلس ساهمة ..سحب مقعدًا وقطع صمتها :

ـ مصطفي عامل ايه دلوقتى؟؟

التفتت اليه وقالت :

ـ على نفس حالته...مش هتقولي بردو ايه اللى في دماغك وتقدر تساعده ازاى؟؟

ـ انا معرفش نتيجة اللى بفكر فيه لسه علشان كدة مستنى اعرف بقيت الموضوع

ـ طب وايه علاقة ده بالموضوع
ـ هفهمك كل حاجة بس أرجوكى كمليلي
تنهدت تنهيدة عميقة ثم بدأت تكمل قصتها :
ـ فضلت في بيت اهلى لحد ما خلفت سلمى..استحملت كلامهم اللى كان بيوجعنى اوى وبيسم بدنى عشان كان معاهم حق في كل اللى قالوه...سلمى كبرت وبقت عندها سنتين وانا معرفش اى اخبار عن وائل خوفت البنت تكبر متلاقيش ابوها وتبدأ تسأل عنه فقررت اروح أسأل اخوه عنه..بصراحة انا اخدت موضوع سلمى حجة لاهلى علشان اسأل عنه لانى كنت لسه بحبه..روحت عند حماتى في الشرقية اسالها على سليم لانه كان ساب شقته اللى في القاهرة هو كمان..قالتلى انها متعرفش مكانه بس هو بييجي كل فترة يشوفها ويطمن عليها...طلبت من واحدة من اخواتهم البنات تكلمنى لما ييجي عشان عايزاه ضرورى وفعلا بعديها بكام يوم اتصلت بيّا تقولى ان سليم في البلد..نزلت في نفس اليوم وروحتله واترجيته يقولى على مكان وائل وانا هسافرله لو هو مينفعش ينزل مصرطلب منى استنى شوية وهو هيتصل بيا وفعلا بعدها بحاجة بسيطة كلمنى وقالى على التفاصيل...وفعلا سافرت وسيبت سلمى مع بابا وماما..هما طبعًا مكانش عاجبهم الوضع ده بس كانوا

مستحمليني عشان البنت اللى ملهاش اى ذنب دى ..اول ما شافنى اترمى في حضنى وفضل يبكى :

ـ مالك يا وائل فيك ايه

لم ينطق بكلمة واحدة واشتد بكاؤه فأحاطته بحنان وقالت :

ـ مالك يا وائل انت قلقتنى عليك

أجابها بصوت متهدج :

ـ انا تعبان أوى يا سماح أرجوكى متسيبينيش

وقعت تلك الكلمات على قلبها كالثليج الذى أطفأ نيرانه المتقدة نسيت كل ما حدث وتملكها الحنين وذكريات ذلك الحب الاليم دمعت عيناها من الشوق والالم واحتضنته بشدة وقالت له :

ـ مش هسيبك يا وائل انا معاك وهفضل معاك

نظر في عينيها ببراءة الاطفال وأمسك بيديها بعطفٍ وخوف...ماذا تفعل في هذا الطفل الكبير..في هذا الحنون القاسي..انه متقلب كفصل الربيع وحار كالصيف و مظلم وعاصف كالشتاء وحنون كنسمات الخريف..انه مزيج من كل شىء..تارةً ترى فيه الشخص الذى احبته وتارةً ترى فيه المجنون الذى كرهته من أول لقاء.. بلحظة يستطيع ان يأسر قلبها وبلحظة أخرى يستطيع أن يحطمه دون عناء وتظل هى مقيدةً بسحره لا تملك ان تكرهه كما لم تملك ان تحبه...كيف لشخصٍ ان يفعل بها كل هذا ولا تكن له سوى العشق !!انها

حتى لم تعاتبه على تركها وابنتها وحيدة.. انها حتى لم تعاتبه على كل ما فعله..تعلم ان هذا العطف والحنان لن يدوم طويلاً وسرعان ما سينقلب حاله لكنها سترضي منه حتى ولو بالقليل فهى لا تملك ان تقل لقلبها كفي ، قالت وهى تمسح دموعه وتنظر في عينيه :

ـ موحشتكش سلمى ؟؟

نظر اليها بعدم استيعاب وقال :

ـ سلمى!!

ـ بنتك...دى بقي عندها سنتين دلوقتى

ـ بجد ؟؟ يااااه كبرت اوى

قالها والدموع في عينيه ثم أضاف :

ـ بقت تمشي وتتكلم ؟؟ معلمتيهاش تقول بابا؟؟ نفسي اسمعها منها

أطرقت برأسها قليلاً ثم نظرت اليه وقد امتلأت عينيها مرةً أخرى بالدموع :

ـ وهو فين بابا عشان تنطق اسمه

تبدلت ملامحه وقطب ما بين حاجبيه وقال:

ـ مكانش ينفع افضل...انا مقدرش انزل مصر

ـ طب فهمنى ليه؟؟

قام منتفضًا وأزاح يدها بعنف وقطب ما بين حاجبيه :

ـ انتى ايه اللى جابك وازاى تسيبي بنتك وتيجي ؟؟
ادركت سماح ان تلك النوبة أتته مجددًا فحاولت تهدئة الامور :
ـ طب اهدى ارجوك ومتتعصبش
تركها ودخل الى غرفته واغلق الباب..يبدو أن أوضاعه قد ساءت كثيرًا..هل يمكن أن يكون مريضًا ويحتاج الى زيارة طبيب نفسي!! شعرت بالخوف لمجرد تفكيرها في الامر.
مر أسبوع على وجودها معه في الكويت ما بين عاصفة وسكون لا تعلم كيف تتصرف معه حالته تزداد سوءًا...عرضت عليه ان يذهب الى طبيب نفسي ولكنه رفض واحتد غضبه .. فلم تجد بدًا من العودة مرة أخرى الى مصر ولم تصل الى شيء سوى أنه يعمل في إحدى شركات النقل.
مر على وجودها بمصر تسعة أشهر حتى أطلّ مصطفي الى الحياة ...كم كانت تتمنى وجود زوجها الحبيب معها ليشاركها سعادتها..حاول والديها إخفاء حزنهم عنها وأرادا مشاركتها سعادتها بهذا المولود الجديد..إنشغلت سماح بأمر الطفلين ومرت الايام ولم يكن لديها الوقت الكافي للتفكير في أى شيء آخر...بدأ الصغير يكبر وبدأت الطفلة تسأل عن والدها وبدأت سماح تنظر الى حالها بطفليها وهى لا تعلم موقفها من زوجها ليست مطلقة وليست ارملة ولا حتى متزوجة حتى طفح بها الكيل وقررت أن تضع حدًا لتلك المهزلة قررت أن تسافر اليه

مرةً أخرى ولا تعود حتى تصل الى حل نهائي لهذا الوضع السخيف إما ان تقنعه بالعودة معها والخضوع للعلاج وإما ان تطلب منه الانفصال..قررت الذهاب بدون طفليها خشيةً عليهم منه فتركتهم مع والديها وأخبرتهم بما تنوى ان تفعله ولم يمضى الكثير حتى وصلت الى هناك دار بينهما نقاشات وجدالات واحتد الامر :

ـ انا خلاص أخدت قرارى يا وائل يا ننفصل يا ترجع معايا مصر وتتعالج

ـ هتسيبينى لوحدى؟؟

ـ وهو انا كدة معاك

ـ لكن انا بحبك

ـ اللى بيحب حد بيحافظ عليه

ـ طب نوصل لحل يرضينا احنا الاتنين

ـ اللى هو ايه بالظبط

ـ بصي انا من الاخر مش هقدر ارجع مصر

ـ ما هو ده اللى انا نفسي اعرفه من زمان ليه؟؟

أدار وجهه ليخفي ذلك الارتباك البادى على وجهه ثم قال :

ـ انا متورط في قضية نصب

اتسعت حدقتا عينيها وشهقت في صدمة :

ـ نصب!!

ـ ايوة يا سماح وخلاص اللى حصل حصل مش هيفيدنا دلوقتى الكلام اللى عايزة تقوليه

دمعت عينيها وهزت رأسها بعدم استيعاب فاقترب منها وجلس على ركبتيه ونظر في عينيها :

ـ انا هنا متغرب ولوحدى ..أولادى بيكبروا وانا عمرى ما شوفتهم ..انتى كمان عايزة تسيبينى

ـ مهو انت تعبتنى معاك اوى احنا بقالنا اكتر من 5 سنين على الحال ده طب واخرتها؟؟

ـ طب ايه اللى يرضيكي؟؟

ـ تتعالج يا وائل...انت شوية بتكون كويس وفجأة بتقلب وبتبقي صعب اوى..بتتحول لشخص تانى انا معرفهوش..شخص يخوف بجد..انا بحبك يا وائل واستحملتك كتير ولسة باقية عليك..انا عايزة مصلحتك ومصلحة أولادنا

أطرق وائل برأسه قليلاً ثم استجمع شجاعته وقال بعزم :

ـ وانا موافق

اتسعت ابتسامتها ونظرت اليه بفرح :

ـ يااااه اخيراً...طيب وخلال فترة علاجك انا هشتغل وهنحاول نكون المبلغ اللى مديون بيه ونرجع مصر بقي

ـ مش بالسهولة دى يا سماح

ـ هو المبلغ كام؟؟

ـ مليون جنية
ـ مليون!! بس انت اكيد مصرفتش المبلغ كله صح ؟؟
ـ مهو....المبلغ اصلاً مكانش كله معايا
ـ امال مع مين؟؟
ـ سليم
انتفضت سماح وصرخت :
ـ تانى سليم يا وائل..طول عمره ممشيك زى ما هو عايز..استغلك وخلاك تسيب بلدك وعيلتك وهو قاعد زى ما هو عايز
ـ سماح... ده اخوية وانا مسمحلكيش تتكلمى عنه كدة
ـ طبعًا لازم متسمحليش ما هو الوحيد اللى بيعرف يغسل دماغك
ـ كفاية يا سماح
حاولت سماح السيطرة على اعصابها...أغمضت عينيها وأخذت نفسًا عميقًا ثم قالت:
ـ اللى حصل حصل للاسف...خلينا في اللى جاى .
بدأت سماح في البحث عن عمل أثناء بحثها عن طبيب جيد لعلاج زوجها.. بدأ وائل يخضع للعلاج وكانت تشرف عليه وتتابع الطبيب...مرت الايام وهى تعمل بكد وتحلم باليوم الذى سيعودان فيه الى مصر وتعيش وسط عائلتها الدافئة..كم كانت

تشتاق الى والديها وأبنائها ولكنها كانت تُصَبِّر نفسها بأنها تفعل كل هذا لأجلهم حتى وصلها خبر موت والدها..نزل هذا الخبر عليها كالصاعقة ..عادت الى مصر لحضور العزاء فوجدت والدتها في حالةٍ يرثي لها..حاولت الاقتراب منها لمساندتها ولكنها كانت تنفر منها..لم ترغب حتى بالسماح لها بالاقتراب فاكتفت برؤية اختها بجوارها..كم شعرت بالوحدة والانكسار بعد وفاة والدها...كيف استطاعت ان تلهيها شؤون الحياة ولم تفكر يومًا في أن تفقد أعز الناس اليها..أخذت تتأمل طفليها اللذين اختلفا كثيرًا منذ تركتهما فالاطفال يكبرون سريعًا..شعرت بفراغ وجفاء يفصل بينهم..لم تشعر بالدفء كالسابق...لقد بكيا جدهما أكثر من بكائها على أبيها..كيف هان عليها تركهما طوال هذه المدة...مضى أسبوعان منذ الحادث وانتهت إجازتها المسموحة لها وأصبح يجب عليها العودة لعملها..لم تكن تريد ترك والدتها ولكنها لم تكن تسمح لها بالاقتراب.. كلما نظرت الي والدتها اخترقتها نظرات اللوم والعتاب وكأنها كانت السبب في موت أبيها...شعرت انه لم يعد لديها مكان وسط ما تبقي لها من عائلة فآثرت العودة لانقاذ ما يمكن انقاذه ولكن هذه المرة لن تترك ابنائها لتزداد الفجوة بينهم..عادت الى الكويت مع سلمى ومصطفي ...كان لقاء وائل بأبنائه لقاءًا حارًا.. أخذ يتأمل تلك الملامح البريئة باشتياق شديد

كانا صورة طبق الاصل من والدتهما..لأول مرة يشعر بدفء العائلة..شعر أن كل ما مضي من حياته كان هباءًا..أراد ان يعيش كل لحظة تبقت له في حياته وسط عائلته الجميلة عاشوا أيامًا هادئة وجميلة والتحق الطفلان بأفضل المدارس وبدأت سماح تتأقلم على حياتها هناك حتى كادت تنسي السبب الرئيسي لبقائها هناك..بدأت تزداد متطلبات الاطفال وتزداد تكاليف المدرسة ومتطلباتها فاضطرا الى صرف ما قاما بتجميعه من مال طوال الفترة الماضية ،لم يبخلا على طفليهما بأى شيء يطلبانه وأصبح لديهم سيارة وانتقلا الى منزل أكبر وبدأت الحياة الجميلة تغريهما فتناست سماح أمر النقود والعودة الى مصر ولكن العدل الالهى لا ينسي أحد فكان لا بد من عقاب السماء لهما بدأ وائل يهمل في علاجه وبدأت تتدهور حالته..اشتعلت النيران بينهما مرةً أخرى وانعكس ذلك على الطفلين فقد أصبح يتطاول عليهما بالضرب..حاولت ان تقنعه بالعودة الى العلاج مرة اخرى ولكن كانت هذه المرة دون فائدة أصبحت الحياة لا تطاق وأصبح الطفلان يخافا والدهما كثيرًا فلم تحتمل سماح الوضع أكثر من ذلك قامت بتهديده بانها ستعود بهما الى مصر اذا استمر الوضع هكذا ولكن باءت كل محاولاتها بالفشل فلم تجد بدًا من تنفيذ تهديداتها...رتبت كل شيء وانتظرت الفرصة المناسبة حتى جاء هذا اليوم...تغيبت

عن العمل بحجة انها ستذهب مع الطفلان الى المدرسة لمتابعة مستواهم الدراسي وانتظرت حتى ذهب الى العمل :

ـ يلا يا ماما احنا اتأخرنا على المدرسة

ـ احنا مش هنروح المدرسة يا مصطفي

ـ امال احنا رايحين فين ؟؟

ـ اسكت دلوقتى ويلا ساعدنى في لم الشنط

كانت سلمى تنظر لما يحدث في صمت تراقب ما تفعله والدتها فقالت والدتها تحثها على الاسراع :

ـ انتى واقفة لسة بتعملى ايه يلا لمى حاجتك طيارتنا كمان ساعتين

عقدت سلمى ذراعيها أمام صدرها وقالت بسخرية :

ـ ايه ؟؟ قررتى تنفذى تهديداتك

ـ انا مش فايقالك دلوقتى يا سلمى ويلا علشان نمشي

ـ بس انا مش عايزة امشي هنرجع مصر نعمل ايه وهنروح فين؟؟انتى فاكرة بابا هيسكت!!

ـ انا مرتبه كل حاجة مع خالتك وخلتها تشوفلي شقة في مصر بعيد عن جدتك يعنى مش هيعرف يوصلنا

ـ ياسلام؟؟ ايه بقي شقة اوضة وصالة؟؟ هنسيب كل الحاجات الحلوة والعيشة النضيفة ونروح نشحت؟؟

شعرت سماح بالصدمة من طريقة ابنتها في الحديث لقد حدث ما كانت تخشاه..تلك الفتاة أخذت الكثير من طباع والدها..كانت تلاحظ هذا الامر كثيرًا ولكنها كانت تكذب نفسها..ليس لديها الوقت الكافي لخوض اى من نقاشاتها تلك فقالت محاولة تدارك الموقف :

ـ يا سلمى يا حبيبتى انا محوشة مبلغ كويس ومش هخليكي محتاجة حاجة ولما نرجع هدور على شغل وربنا هيكرمنا

ـ والمفروض بقي ان انا اصدقك!!

ـ سلمى مفيش وقت للكلام اللى زى ده ارجوكى يلا

ـ ماشي يا ماما لما نشوف اخرتها معاكى

تحركت الفتاة على مضض وارتدت ثيابها وذهب الجميع الى المطار...بعد مرور بضع ساعات حطّت الطائرة في مطار القاهرة فكانت أختها بانتظارها..

سأل يوسف مدام سماح :

ـ الشقة اللى انا سالت على حضرتك فيها؟؟

ـ ايوة هى دى

ـ وبعدين ايه اللى حصل؟؟

ـ الوضع في البداية كان مستقر بس زى ما توقعت وائل مسكتش على اللى حصل ونزل مصر وكان حالف لينتقم من الموقف اللى حصل رفع عليّا قضية عشان ياخد الاولاد لآنهم

كانوا عدوا السن القانونى واتهمنى بانى هربت بيهم..وكلت محامى وقالى انى لازم اقول في المحكمة انه كان بيتعدى عليهم بالضرب وانه مريض وبيتعالج والاولاد يشهدوا بكدة وفعلاً نفذت اللى قالهولى وكل حاجة كانت ماشية كويس في البداية لحد ما حصلت حاجة عمرى ما كنت اتوقعها

ـ ايه اللى حصل!!

ـ سلمى انكرت كل ده في المحكمة

نظر لها يوسف بعد استيعاب واكفهر وجهه وقال :

ـ ازاى!! وليه؟؟

ـ كنت فاكرة في البداية ان عمها قابلها وضغط عليها بس كنت غلطانة

ـ ليه؟؟

ـ بعد ما سلمى نفت كل الكلام اللى اتقال في المحكمة انا حاولت اتكلم معاها واعرف منها في ايه لكن مرضيتش تتكلم فتوقعت ان عمها السبب وبردو متنازلتش عن القضية لحد ما أثبت انه مريض وبيتعالج وكسبت القضية واتطلقت منه..

ـ أمال سلمى كانت عايشة معاه في الكويت ازاى لما انتى كسبتى القضية؟؟

ـ مهى دى المصيبة..طبعًا بعد المحاكم والبهدلة والقواضي والمحامى صرفت كل الفلوس اللى كنت شايلاها حالتى المادية

بقت سيئة جدًا ومبقتش عارفة اسدد تكاليف المدارس اللغات بتاعتهم فاضطريت احولهم حكومى ..الغريب ان سلمى كانت هادية اوى ومعارضتنيش في اى قرار اخدته..افتكرت انها عقلت واتغيرت بس كنت غبية اوى...في يوم كانت رايحة المدرسة واتأخرت اوى عن معادها قلقت عليها جدًا وكنت هموت من الخوف..اتصلت بيها موبايلها كان مقفول..طبعًا قلبت الدنيا ودورت عليها في كل حتة زى المجنونة لحد ما عمها اتصل بيّا وقالى ان البنت عنده..مصدقتوش غير لما روحتله ولقيتها فعلاً عنده..اتكلمت معاها واترجيتها ترجع معايا بس هى رفضت وقالتلى انها هترجع تعيش مع ابوها وانها مش عايزة تعيش معايا...حاولت معاها كتير اوى بس مكانش فيه فايدة وعمها كان مقويها عليّا ..ومن ساعتها وهى عايشة معاه ومعرفش عنها اى حاجة

ـ طب ووالدتك كانت فين في كل ده ؟؟

ابتسمت سماح ابتسامة مريرة وقالت :

ـ مهو اللى حصلي ده كله من اللى عملته في والدتى..خسرت جوزى اللى ضحيت بكل حاجة عشانه وخسرت بنتى وخسرت أبوية..مكانش باقيلي اى حاجة تانية واخيرًا افتكرت ان ليّا أم...قررت اروح اترجاها تسامحنى وتسمحلى أعيش معاها.. ـ يعنى الشقة اللى حضرتك ساكنة فيها دلوقتى دى شقة اهلك؟؟

ـ أيوة..أجرت شقتى وروحت عشت مع ماما...كانت شايلة منى كتيرأوى وحالتها الصحية اتدهورت من حزنها على بابا وعليّا..روحتلها وبوست ايديها واترجيتها تسامحنى وقولتلها انى مبقاش ليّا غيرها وكفاية اللى حصلى..طبعًا هى كأى أم متقدرش تكره أولادها سامحتنى وفضلت عايشة معاها أخدمها وأراعيها يمكن ربنا يغفرلي كل اللى عملته ده لحد ما سابتنى هى كمان

قالت سماح جملتها الاخيرة وقد اغرورقت عيناها بالدموع...

ما أعجب جنس البشر يظل يتعلق بحبال دائبة ويفنى حياته يبحث عمّا يريد ويصم أذنه عن سماع أى شىء لا يوافق هواه حتى يشتعل برأسه الشيب وتخور قواه ويمحو الزمن أنقاض شبابه فيبدأ في إحصاء ما جمع طيلة حياته فلا يجد شيئًا واحدًا يؤنس وحدته ويُسْلي أحزانه ويمضي الدقائق المعدودة من عمره يتحسر على ما فقد.

ساد الصمت الاجواء بينما كان بداخل كل منهما الكثير من الكلام والتساؤلات..كان يوسف يفكر فيما دفع حبيبته القاسية لفعل هذا الامر، هل هو المال والحياة المرفهة؟! وأى حياة تجبرها على تحمل شخص مثل هذا الذى تتحدث عنه والدتها ، فبرغم الحب المشتعل الذى أحبته والدتها له انطفأت شعلته في النهاية وخفت ضوئه وسكنت صرخته فهل يمكن أن يكون حبها

للمال اقوى من ذلك الحب!! هل سيكون أقوى من حب امرأة ضحت بشبابها وجمالها وحياتها الهادئة المرفهة المدللَله لأجل رجل مريض!! يجب ان يضع حدًا لتلك التساؤلات ويعرف كيف تفكر تلك الفتاة الملائكية الشيطانية...

استأذن يوسف بالانصراف وقام بايصال مدام سماح الى منزلها ثم ذهب ليجلس في نفس المقهى الذى اعتاد الجلوس فيه مع سلمى...لم تعد عيناه ترى كل شيء كالسابق بدأت نظرته للامور تتغير تماماً ، شعر أنه لم يعد يعرف هذه الفتاة..وكأنه يسمع قصة لأحد الاشخاص عبر إحدى شاشات التلفاز أو ربما يقرأ عنها في جريدة لكنها حتمًا ليست حبيبته..شعر أن كل ما عرفه عنها لم يكن أكثر من مسامرات بين بعض الزملاء في إحدى المقاهى...ألهذا الحد لم تكن تأخذ علاقتهم على محمل الجد!!

أخرج الهاتف من جيبه ليرى الساعة فوجد الكثير من المكالمات التى لم يتم الرد عليها..فتحها ليجده رقم معتز ...ضغط زر الاتصال فأتاه الصوت من الجانب الاخر:

ـ ايه يا يوسف انا اتصلت بيك كتير انت فين يابنى؟؟

ـ معلش يا معتز كنت عامل الموبايل Silent

ـ انا بكلمك عشان في خبر مهم أوى لازم تعرفه

ـ خير في ايه؟؟

ـ سليم رشدى رفع قضية بيتهم فيها وائل رشدى بالنصب والاحتيال وهيتم ترحيله على مصر
ـ توقعت انه اكيد هيعمل كدة
ـ ليه انت عرفت حاجة جديدة؟؟
ـ ايوة..بقولك ايه يا معتز..انا عايزك تجمعلى كل المعلومات عن الراجل ده لأنه شكله ليه شغل مشبوه كتير
ـ حاضر..هجمع المعلومات الى طلبتها وهتصل بيك
ـ ماشي...شكرًا يا معتز
أغلق يوسف الخط ونظر الى الساعة فوجدها تقترب من الحادية عشر فحمل حقيبته ليعود الى المنزل..ودخل ليلقي نظرة على والدته فوجدها نائمة..دخل الى غرفته وبدل ملابسة وغرق في النوم.
كانت سلمى في تلك الايام على نفس حالها..هى أيضًا في تلك الايام القليلة نظرتها لكل شيء تغيرت..شعرت ان ما حصلت عليه بالنسبة لما فقدته هو لا شيء وحتى ما افنت طفولتها تبحث عنه أصبح اليوم هباءًا منثورا..ماذا فعلت بجمالها وحياتها المرفهة في هذا السجن!! ماذا اكتسبت غير العناء والوحدة!! كانت أيامها رخيمة مميتة خالية من جميع ألوان الحياة..الآن فقط شعرت بالحنين لوالدتها..شعرت انها تفتقدها بشدة وتحتاج اليها..تتمنى لو تفقد جميع مالديها بمقابل حضن

دافىء يشعرها بالأمان..أصبحت تنام محتضنة وسادتها وضامةً قدميها إلى صدرها كالجنين في رحم أمه بحثًا عن الأمان..شعرت بضعفها وقلة حيلتها حين جربت احساس القهر والكبت...أمضت ليلتها في يأس من أن يشرق عليها نور الصباح... حتى أتاها النداء للزيارة...جاء هذا النداء كالماء البارد ليطفىء حرارة العطش وجفافه حتى وإن كان مجبرًا كما يدّعى فيكفيها رؤيته وشعورها بقربه...دخلت سلمى الغرفة فتلاقت نظراتهما...نظر اليها فبالكاد عرفها...اختلفت كثيرًا..هزل جسدها وانطفأ وميضها.. حتى تلك اللمعة التى يستطيع تمييزها كل من ينظر في عينيها..خفت ضوئها..انتظر ان تتحدث فطال انتظاره..ظن أنها ستندفع نحوه كما اعتادت ان تفعل فخاب ظنه رغم كل ما يحمله اتجاهها من ألم لا يستطيع أن يراها بتلك الحالة..أراد أن يجلس هكذا ويطيل النظر في عينيها ليبحث عنها ولكن دقات الساعة كانت تحول دون ما يريد فبادر بالحديث :

ـ ليه عملتى كدة؟؟

ازدردت ريقها وأشاحت بوجهها بعيدًا ثم قالت :

ـ انت قابلت ماما؟؟

ـ أيوة...وعرفت منها كل حاجة

ـ وجاى تسألنى على أنهى حاجة بالظبط؟؟

ـ ليه كنتى أنانية أوى كدة؟؟
نظرت اليه بعينين مغرورقة بالدموع وقالت:
ـ عمرك جربت احساس الوحدة والخوف؟؟ عمرك حسيت ان أقرب الناس ليك هما أبعد الناس عنك؟؟ عمرك احتاجت حضن دافى وملقتهوش ولما لقيته كان بارد أوى؟
أراد يوسف أن يجيب ففرت الكلمات منه لتلزمه الصمت..وزعت سلمى بعض النظرات الفارغة في جميع ارجاة الغرفة ثم أطرقت برأسها الى الطاولة وعقدت أصابعها وقالت :
ـ أول مرة ماما سابتنى فيها كان عندى سنتين وشوية..هى صحيح مكانتش فترة طويلة لكن حسيت انها رجعت وسابت نفسها هناك..انا صحيح كنت طفلة لسة معرفش اى حاجة في الدنيا..لكن كل اللى عرفته ان أمى اتنازلت عن دورها لجدتى..لما أول كلمة نطقتها كانت تيتا..بقت جدتى هى اللى بتأكلنى وهى اللي بتشربنى وهى اللى بتعمل كل حاجة..حتى لما كنت بعيط أمى مكانش بيبقي عندها صبر وكانت بترميني لجدتى..بعدها جه مصطفي وأنا بدأت أكبر..الوضع مختلفش كتيرولما بدأ يكبر شوية ماما سابتنا وسافرت، كان عندى وقتها 5 سنين..مكنتش مدركة أى حاجة من اللى بتحصل،كنت ساعات بسمع جدو وتيتا بيتكلموا بصوت واطي عن ماما وبابا

اللى عمرى ما شفته ولا أعرف عنه أى حاجة ..مكنتش بفهم أوى الكلام اللى بيتقال بس كل اللى عرفت أميزه انه مكانش كلام حلو...كنت بتعامل مع مصطفي على انه مجرد طفل عايش معانا في البيت..عمرى ما اتعاملت معاه على انه أخوية ولازم نخلى بالنا من بعض..جدو وتيتا كانوا هما بابا وماما بالنسبالى كنت بحبهم أوى وكانوا هما بيحاولوا ميحسسوناش بأى حاجة من اللى بتحصل..انا مكنتش بسأل عن بابا كتير ولا عن ماما وكنت بضايق أوى من مصطفي لما كان يفضل يسأل عنهم :

ـ تيتا هو بابا وماما فين

ـ مسافرين يا حبيبي

ـ بيعملوا ايه في المكان ده ؟؟

ـ بيجيبولك لعب وحاجات حلوة عشان ييجوا يعملولك مفاجأة

ـ بس انا عايز اروحلهم ومش عايز مفاجأة.. ودينى هناك

شعرت سلمى بالحنق من هذا الطفل الصغير الاحمق فقاطعت حديثهم :

ـ اسكت يا غبي..في حد مش عايز لعب وحاجة حلوة..هتروحلهم تعمل ايه؟؟

ـ وانا هعمل ايه باللعب وانا بلعب بيها لوحدى؟؟انا عايز العب باللعب معاهم

رمقته سلمى بنظرة مستهترة وقالت تحدث نفسها :

ـ طفل غبي

وتركتهم وذهبت الى غرفتها لتكمل واجباتها المدرسية...كانت حياتهم سعيدة دافئة وسط جديهما..تذهب سلمى الى المدرسة ومصطفي الى الحضانة كل يوم ويعودان ليحكي كل منهما ما حدث لجديهما ثم يتناول الجميع الغداء وتجلس سلمى لتنهى واجباتها المدرسية ثم تخرج لتشاهد التلفاز مع جدها بينما يجلس مصطفي مع جدته ليلعب بالالعاب ، وفي العطلات كان يأخذهم جدهم الى احدى الحدائق او الملاهى ثم يعود بهم الى المنزل محملاً بالحلوى والاطعمة ليشرك زوجته الحبيبة معهم في التسلية.. وفي إجازة الصيف يذهب الطفلان لزيارة خالتهم وامضاء بعض الوقت معها ومع طفليها..كان الجميع يحاول تجنب الحديث عن والديهما أمامهما ولكن كانت سلمى تسترق السمع من وقتٍ لآخرفيترامى على سمعها بعض كلمات جدتها وهى تتحدث مع زوجها :

ـ العيال بتكبر يا عبده واحنا كمان بنكبر وبكرة مش هنعرف نشيل مسؤليتهم

ـ هنعمل ايه بس يا كريمة ربنا يهدى امهم وابوهم

ـ ياريتنا سبناها تموت ولا كانت اتجوزت الجوازة الزفت دى

ـ ده قدر ومكتوب يا كريمة ومحدش بياخد أكتر من نصيبه

ـ طب وعيالهم دول ذنبهم ايه؟؟
ـ اديها سافرت تشوف جوزها ده يمكن تقدر تعمل حاجة
ـ انا مش عارفة هى ازاى لسة متطلقتش من الراجل ده وانت ازاى ساكت على الوضع ده
ـ ومين قالك ان اللى بيحصل ده عاجبنى؟؟ انا بس اللى مسكتنى ان الواحد مش ضامن عمره..انا لو عشت انهاردة مش هعيش بكرة..مش عايز اسيبكم من غير راجل يسندكم
ـ وهو المجنون الصايع ده سند؟؟
ـ مش يمكن زى ما بنتك بتقول يتعالج ويبقي كويس
ـ وانت بتصدق كلام بنتك اللى بتجرى وراه في كل حتة ورامية عيالها ومبتسألش فينا
ـ قومى نامى يا كريمة ربنا يهديكي ويهديها
قامت كريمة بغضب واحتد صوتها :
ـ ياريتنا ما وافقنا على الجوازة الزفت دى..مجابتش غير المصايب..انا لولا عيالها مكنتش دخلتها البيت ده تانى بعد الفضايح اللى عملتهالنا دى
ـ وطي صوتك لحسن العيال تسمع
ـ انا هسكت خالص..وهو الكلام كان عمل ايه بس
مضت الحياة على هذا النحو حتى جاء اليوم الذى أحدث انقلابًا في حياة الجميع.. انتقل الجد الحنون والاب الصبور والزوج

المحب الى الرفيق الاعلى تاركًا خلفه من الاحزان
أجلّها...انطفأت شمعة الدار وذهب ما تبقي من عبق السعادة الذى كان يعطر حياتهم..لم تحتمل الزوجة المسكينة فراق رفيق دربها..اليد الناعمة التى كانت تكفكف دموعها وتحمل عنها همومها وتزيل أحزانها..خرجت الروح من هذا المنزل عقب خروج روحه الطاهرة من جسدة..بكته بكاءًا مريرًا كما بكاه أحفاده..رحل عنهم والدهم وجدهم وصديقهم وسندهم في الحياة..تبدلت حياتهم منذ هذا اليوم فقد عادت والدتهم عقب وصولها الخبر لتشاركهم أحزانهم فلم تجد لها مكانًا بينهم..
حاولت ان تخفف عن والدتها فلم تسمح لها حتى
بالاقتراب..ذهبت لأبنائها وأرادت احتضانهم بشدة وضمهم الى صدرها لتشعرهما بالامان والدفء فلم تستطع اختراق الحاجز بينها وبينهم..حاولت الاقتراب شيئًا فشيئًا من مصطفي حتى تمكنت من ارضاءه ولكن سلمى كانت على النقيد فقد كانت تزداد نفورًا منها كلما حاولت الاقتراب منها :
ـ يا سلمى يا حبيبتى هى ماما موحشتكيش؟؟
عقدت ذراعيها امام صدرها وقطبت ما بين حاجبيها وقالت :
ـ انتى جاية بعد ما جدو مات
ـ صدقيني يا حبيبتى انا زعلانة اوى على جدو
نزلت دمعة من عينيها لتفسح لمثيلاتها الطريق وأتبعت :

ـ انا لو كنت أعرف ان هييجي اليوم اللى مش هشوف جدو فيه مكنتش قعدت كل ده من غير ما اشوفه..كان نفسي اودعه للمرة الاخيرة .....

مر الاسبوع الأول من العزاء بدأ الطفلان يتقبلا فكرة عدم وجود جدهما بالمنزل لكن والدتها لم تفعل...كانت كريمة تجلس صامتة واضعًة يدها على خدها بالساعات وكانت سماح وأختها معها بالمنزل يحاولان التخفيف عنها..خشيت سماح على والدتها من المرض اذا استمرت هكذا دون طعام فحاولت اطعامها لكنها لم تستجب :

ـ يا أمى حرام عليكي نفسك

نظرت لها والدتها ولم تجب..أمسكت سماح بالملعقة ووضعتها في طبق الحساء واقتربت بها منها فأشاحت بوجهها بعيدًا..نظرت لها سماح في الم وقالت :

ـ طب عشان خاطرى كلى..مش قادرة أشوفك كدة

-.....

ـ يا أمى فات اسبوع وانتى على الحالة دى

كانت أختها تراقب الموقف من بعيد فاقتربت وتناولت من سماح الملعقة وأشارت لها بالذهاب فأذعنت لها وبدأت تحدث والدتها :

ـ يلا يا ماما ارجوكى كلى عشان اديكي الدوا

استجابت لها كريمة وتناولت بعض الطعام فأدركت سماح أن والدتها لا تريدها الاقتراب منها..شعرت بغصة في حلقها إثر ما حدث وأيقنت ان وجودها مع والدتها بلا فائدة..

بدأت كريمة تشعر بالغربة في منزلها بعدما فارقها زوجها الحبيب فأرادت ان تبتعد قليلًا عن هذا المكان الذى يحمل كل ركن فيه ذكريات سعيدة في قلبها فعرضت عليها ابنتها الكبرى ان تأتى لزيارة منزلها لفترة وفي تلك الاثناء تلقت سماح رسالة من عملها بالكويت لتعود الى العمل فقررت أخذ ابنائها معها لم يكن مصطفي يريد السفر وترك منزله الذى تربي به أراد ان يظل مع جدته فقال لجدته وهو يودعها :

ـ انتى زهقتى منى يا تيتا

حاولت كريمة رسم الابتسامة على وجهها وقالت:

ـ لا طبعًا يا حبيب تيتا

ـ امال ليه ماما عايزة تاخدنا ونمشي من هنا؟؟

أجابت سماح نيابةً عنها :

ـ انت مش عايز تشوف بابا يا مصطفي؟؟

ـ لا عايز اشوفه بس انا مش عايز اسيب تيتا

قاطعته سلمى :

ـ ما احنا هنروح عشان نشوف الحاجات الحلوة اللى ماما معرفتش تجيبها معاها وهى جاية ونيجي تانى

بدأ مصطفي في البكاء وهو يقول :
ـ لا انا مش عايز امشي..يا ماما سيبينى مع تيتا وروحوا انتوا
فسحبته والدته برفق وسلمى تنظر اليه وتحدث نفسها بغضب :
ـ هيفضل طول عمره طفل غبى ما انا قولتله هنجيب حاجات حلوة وهنرجع تانى
ذهبت كريمة مع ابنتها بعد ان ودعت الاطفال وتركتهم لوالدتهم لتحضر حقائبهم للسفر.
نظرت سلمى الى يوسف وأكملت:
ـ وسافرنا فعلاً...مصطفي أخد وقت عشان يتألقم على الوضع الجديد لكن انا اتعودت على الوضع بسرعة..احنا الاتنين كنا بنتعامل مع بابا على انه حد غريب.. بالنسبالى مكانش اكتر من وسيلة لشراء اى حاجة عايزاها...واحد مشوفتهوش من يوم ما اتولدت لحد ما كبرت ودخلت المدرسة اما بالنسبة لمصطفي كان ضيف لحد ما بدأنا نتأقلم على الوضع وانا بدأت أكبر وفهمت ان بابا مريض وبيتعالج،يمكن حياتنا كانت مستقرة ماديًا لكن مكانتش مستقرة عاطفيًا..مكنتش قادرة اتعامل معاهم على انهم بابا وماما فبدأت أعوض النقص اللى جوايا بالخروج والفسح واللبس على عكس مصطفي اللى كان دايمًا بيحاول يقرب منهم ويتعامل معاهم عادى..يمكن عشان هو كان صغير ومكانش بيسمع الكلام اللى انا بسمعه عنهم او يمكن عشان

مكانش مدرك المواضيع زيي او يمكن زى ما ماما بتقول ان انا واخدة طبع قاسي بصراحة مهتمتش اوى انى اعرف الاسباب لكن حتى حياتنا دى مستمرتش كتير لان بابا اتغير اوى وبقي حد يخوف بجد..حياتنا اتقلبت جدًا وبقت لا تطاق..بابا كان بيمد ايده علي ماما كتير وساعات علينا..مش قادرة اوصفلك مدى بشاعة الايام اللى عشناها..كل يوم مشاكل وزعيق وبهدلة فعرفت ساعتها ان بابا انتكس تانى عشان اهمل العلاج.. مصطفي كره بابا اوى وبقي يخاف منه لكن انا مكنش فارق معايا الوضع كتير لان متطلباتى كانت بتجيلي ومكانتش بتنقص حاجة فمهتمتش كتير باللى بيحصل...كانت اغلب المشاكل بين ماما وبابا بس مصطفي كان بيحاول يدافع عن ماما فكان بيعصب بابا وبيخليه يمد ايده علينا..كنت دايمًا بتخانق معاه وبقوله ميدخلش بس مكانش بيسمع الكلام لحد ما ماما مقدرتش تستحمل الوضع اكتر من كدة وخدتنا ونزلت على مصر..علي شقة بعيدة ميعرفش عمى ولا بابا يوصلنا فيها.. حسيت ان نزولى مصر كابوس..مكانش عندنا عربية ولا تكييف ولا الحاجات اللى كانت عندنا في الكويت وكنا بنركب مواصلات..الوضع بالنسبالى كان بشع ومكنتش طايقاه..مصطفي كالعادة تأقلم مع الوضع لكن انا مقدرتش..عرفت ان فيه قضية بابا رفعها على ماما عشان

ياخدنا وظروفنا المادية بقت سيئة وماما مبقتش عارفة تسدد تكاليف المدرسة فنقلتنا مدارس حكومى ودى كانت كارثة بالنسبالى وبقيت اتخانق مع ماما كتير لحد ما في يوم جه راجل ونادى عليّا وانا طالعة من المدرسة .....

ـ سلمى

نظرت سلمى بدهشة الى مصدر الصوت فوجدته رجل كثير الشبه بأبيها فقالت :

ـ انت مين!!

ـ انا عمو سليم

نظرت اليه بعدم استيعاب ولم تجب فأضاف :

ـ انا عمو يا سلمى اخو بابا

تذكرت سلمى ان هذا الاسم تردد أكثر من مرة على مسمعها فقالت :

ـ وعايز منى ايه؟؟

اقترب منها مبتسمًا وقال :

ـ عايز اتكلم معاكى شوية..ممكن اعزمك على ايس كريم؟؟

رفعت سلمى حاجبها بتشكك فقال :

ـ متخافيش انا بس هتكلم معاكى كلمتين ومش هأخرك

ترددت سلمى قليلًا قبل انت تجيب :

ـ طيب

اخذها واتجه الى سيارته الفخمة التى أبهرت سلمى..ركبت معه السيارة وأخذها الى محل فاخر وطلب لها أغلى انواع الآيس كريم وبدأ حديثه :

ـ انا زعلان اوى على الوضع اللى انتوا بقيتوا فيه

ـ وانت عرفت وضعنا منين!!

ـ يا حبيبتى انا عمك واكيد لازم اكون عارف اخباركوا

ـ وعايز منى ايه؟؟

ـ انتى عاجباكى المدرسة اللى انتى فيها دى؟؟ مش دى حكومى بردو؟؟

نظرت سلمى الى الطاولة ولم تجب فأضاف :

ـ طب واللى يرجعك تانى المدرسة اللى انتى كنتى فيها؟؟

رفعت سلمى بصرها اليه سريعًا وقالت:

ـ بجد؟؟

ـ ايوة بجد ومش كدة وبس

ـ امال ايه؟؟

ـ وهجيبلك كل اللى انتى عايزاه وهشتركلك في النادى اللى تختاريه

نظرت له سلمى بتشكك وقالت :

ـ وده كله بقي مقابل ايه؟؟

ضحك سليم وقال :

ـ شكلك بنت ذكية

ابتسمت سلمى بمكر وقالت :

ـ قصدك مبيضحكش عليّا

ـ ماشي يا نبيهة..على العموم هى حاجة بسيطة اوى

ـ ايه هى؟؟

ـ تنكرى كل الكلام اللى كنتوا هتقولوه في المحكمة

نظرت له سلمى بصدمة وقالت :

ـ نعم؟؟؟

ـ اهدى بس..بصي انا هسيبك تفكرى براحتك في الموضوع لسة معانا اسبوع على معاد المحاكمة

ردت سلمى بحزم وغضب :

ـ انا عايزة اروّح

نظر لها سليم بابتسامة مخيفة وقال :

ـ انا عايز مصلحتك ..مش احسن ما تلاقوا نفسكوا في الشارع؟؟

ـ قصدك ايه؟؟

ـ قصدى تفكرى كويس..وعلى العموم الكارت ده فيه رقمى

ترددت سلمى قبل ان تمد يدها لأخذ الكارت ثم ذهبت معه باتجاه السيارة.

عادت سلمى الى المنزل وهى تدير الموضوع برأسها وتفكر..انها تعلم مما سمعته عنه انه شخص سيء ويمكنه ان ينفز ما قاله...هل يمكن ان يتسبب في انقطاع عمل والدتهم!! ولم لا فقد كان يتحدث بثقة ولم يكن ليجرؤ على الحديث معها ان لم يكن يفكر بشيء ما..بماذا سيفيدها البقاء مع والدتها وهم لا يملكون قوت يومهم!! لقد علمتها الحياة ان تحاول الخروج من أرض المعركة باقل خسائر..أخذت توازن ما بين الأمرين فلم تستطع الوصول الى قرار..زارها عمها خلال هذا الاسبوع عدة مرات مما جعلها تميل الي عرضه قليلًا حتى حسمت أمرها وقامت بما طلبه منها..كان ما فعلته بمثابة خنجر طعن والدتها ببطء..صعقها ما فعلته وأثار جنونها...تغيرت معاملتها معها كثيرًا...أصبحت تعاملها بقسوة وجفاء..ولا تخاطبها إلا بالصراخ حتى انتهت القضية لصالح سماح ولكن عقب هذا الامر ازدادت حالتهم المادية سوءًا وازداد الجفاء بين سلمى ووالدتها حتى طفح بسلمى الكيل وقررت الهروب الى بيت عمها...ذهبت الى المدرسة في اليوم التالى وهى حاسمة أمرها..اتصلت بعمّها وأخبرته ان يأتى اليها بعد انتهاء اليوم الدراسي وطلبت منه ان يأخذها معه.. في البداية تردد قليلاً وسألها عن السبب فلم ترد اخباره بالسبب الحقيقي واكتفت بقولها:

ـ انا نفزت اللى انت طلبته منى وانت منفزتش اللى وعدتنى بيه
ـ بس اتفاقنا كان انى انقلك من المدرسة وانفذ طلباتك مش انى اسفرك لبباكي
ـ أديك قولتها..تنفذلي طلباتى وهى دى طلباتى
أطرق سليم قليلًا يفكر في الامر ثم وجدها فرصة جيدة لاخماد ثورة وائل الذى كان متعلقًا بأبنائه كطفل صغير ولكى يضمن عدم عودته الى مصر مرةً أخرى وافساد الامور فأذعن لطلبها .
قاطعها يوسف :
ـ ازاى وافقتى انك تعيشي معاه بعد كل اللى شفتيه منه؟؟
أجابته سلمى :
ـ اللى عشته علمنى ازاى اتصرف صح مع اى حد عشان اوصل للى انا عايزاه
ابتسم يوسف بسخرية وقال :
ـ بالنسبة للموضوع ده فانا بصراحة احييكي
نظرت له سلمى ولم تعقب فأردف :
ـ وطبعًا رجعتى هناك للعيشة المرفهة اللى كنتى عايشاها
ـ انا مش هنكر انى واجهت صعوبة في التعامل مع بابا في البداية..بس اتعلمت ازاى وامتى اطلب اللى انا عايزاه واتعلمت ازاى امتص غضبه وأجاريه لما تجيله نوبة العصبية

زوى يوسف فمه وقال بمرارة :
ـ ده انا كنت غلبان اوى..وانا اللى كنت بسأل ازاى سايبينك لوحدك ونفسي اتخرج انهاردة قبل بكرة عشان اكون سند ليكي واحميكي..كنت خايف عليكي بس طلعتى يتخاف منك
ـ انت معشتش اللى عشته يا يوسف..حياتى هى اللى علمتنى كل ده
لم يرد يوسف خوض هذا الجدال معها فغير مجرى الحديث وقال :
ـ وطبعًا نزلتى مصر عشان الجامعة
ـ ايوة..ونزلت عند عمى في أجازة الصيف عشان اقدم في جامعة خاصة
وكانت اول مرة اعرف ان ليه ابن شاب...مراته كانت بتعاملنى كويس وكانت العيشة عندهم مريحة لكن الحاجة الوحيدة اللى مكانتش كويسة هى ابنهم
تغير وجه يوسف عندما سمع هذه الكلمة وفهم ما ترمى اليه..لاحظت سلمى هذا ولكنها أكملت :
ـ بدأ يدايقنى كتير وكانت نظراته مش مريحة وتصرفاته مخيفة...كنت بتهرب منه وبقفل على نفسي الاوضة لما باجى انام
قاطعها يوسف بحدة :

ـ ومقولتيش لأهله ليه؟؟
ـ مكانش ينفع لانى كنت عايشة في بيتهم ومكنتش عايزة اعمل مشاكل..ده غير انهم كانوا مدلعينه أوى ومامته مكانتش هتستحمل تسمع كلمة وحشة عن ابنها
احتقن وجه يوسف بالدماء، حاول إخفاء الامر ولكنه فشل في ذلك..شعرت سلمى بلذة خفيّة لتلك الغيرة التى دائمًا ما تفضحه فأصرت على اكمال الحديث :
ـ بس بصراحة الوضع بقي صعب أوى وهو زودها جدًا فبدأت أدور على شقة تانية تكون قريبة من الجامعة بتاعتى عشان تكون حجة لما ييجوا يسألونى انا عايزة امشي ليه لحد ما فعلاً لقيتها وقولتلهم ان المشوار بعيد من عندهم للجامعة ولقيت بالصدفة شقة معروضة للايجار قريبة من الجامعة..في الاول رفضوا وخاصةً ابنهم فضل يقولهم لا وازاى هنسيبها تعيش لوحدها وحاول يخليهم يرفضوا بكل الطرق لكن انا أصرّيت على موقفى وفعلاً مشيت
قاطعها يوسف :
ـ عشان كدة كنتى لوحدك ومحدش جه يوصلك؟؟
ـ ايوة.. لانى كنت فاكرة ان بكدة هو مش هيعرف مكانى الجديد وهيبطل يضايقنى بس للاسف كنت عبيطة
ـ وعمك مسألكيش فين الشقة او استفسر عن اى حاجة!!

ـ لا طبعًا سأل من باب الواجب يعنى وأخدته معايا وريتهاله قبل ما امشي في وقت كان الاستاذ فيه سهران برة كالعادة بس لما جيت أعزل لمحتله بالموضوع وهو أصلاً كان بدأ يلاحظ تصرفات ابنه خاصةً انه زودها أوى وردة فعله كان مبالغ فيها لما عرف انى عايزة اسيب البيت فقالى ان هو هيتصرف

ـ وعمل ايه؟؟

ـ عرض عليه يسافر كام يوم في الشاليه بتاعهم في العين السخنة وان احنا هنحصله بعد ما يخلص شوية حاجات في الشغل..واللى ساعدنى كمان ان الموضوع مكانش محتاج لأن الشقة اللى أجرتها كانت جاهزة في كل حاجة فمأخدتش غير حاجاتى بس

نظر اليها يوسف بألم وقال :

ـ وللأسف اتقابلنا

نظرت له سلمى بتوسل وقالت :

ـ صدقنى يا يوسف انت الحاجة الوحيدة الصح في كل حياتى..أنا بجد ندمت على كل حاجة عملتها واتمنيت لو أحرق الماضي وابدأ حياتى من جديد

تنهد يوسف تنهيدة عميقة وهز رأسه بعدم تصديق وقال :

ـ كان ممكن أصدق لو كنتى صارحتيني بكل حاجة ومستمرتيش في مسلسل الكدب السخيف بتاعك

ـ كنت خايفة لما تعرف أخسرك
ـ وانتى كدة مخسرتينيش!!
ـ لو كنت اعرف ان كل ده هيحصل مكنتش عملت كدة
ـ متحاوليش يا سلمى..وقت التبريرات فات
ـ صدقنى يا يوسف انا مظلومة والظروف هى اللى فرضت عليّا كل ده
ـ انا مش هنكر انك مريتي بظروف صعبة كتير..بس مترميش أخطائك كلها على الظروف
ـ بس دى الحقيقة
ـ طب ما أخوكى عاش نفس ظروفك..معملش زيك ليه؟؟
ـ مصطفي كان صغير
ـ والصغير كبر يا سلمى...وزى ما انتى كبرتي قبل أوانك من اللى عشتيه هو كمان أكيد اللى عشتوه خلاه يكبر قبل أوانه
صمتت سلمى بعد أن نفذت مبرراتها ولم تجد ما تدافع به عن نفسها فأعادها يوسف الى مجرى الحديث قائلًا :
ـ وطبعًا مسكتش وفضل يدوّر لحد ما عرف انتى ساكنة فين
ـ ايوة...وبدأ يجيلي كتير..وانا كنت بخاف من الفضايح وكنت بخاف لا انت تعرف وتحصل مشكلة فكنت بضطر أدخله الشقة عشان ميعمليش فضايح
امتقع وجه يوسف وقال :

ـ يعنى عشان خوفك من الفضايح تدخلى واحد زى ده شقتك وانتى لوحدك!!

ـ انا مكنتش بسمحله يتعدى حدوده وكنت بحاول اتهرب منه

ـ وبعدين؟؟

ـ لحد ما عرف موضوع علاقتى انا وانت وحصل اللى حكيته في التحقيق.

أخذت سلمى تسترجع ليلة الحادث.....

كانت تجلس في هذا اليوم في المنزل تستمع الى الاغانى الرومانسية وهى تتصفح الانترنت عبر اللاب توب حين رن جرس الباب بقوة...قامت مفزوعة لترى من الطارق ...نظرت عبر فتحة الباب فوجدته ابن عمها..وكان منظره غريبًا في ذلك اليوم فشعرت بالرعب ولم ترد أن تفتح الباب...جاءه صوتها عبر الباب :

ـ افتحى يا سلمى بدال ما أعملك فضيحة هنا في العمارة

خشيت سلمى من الفضائح ففتحت له الباب بسرعة...اندفع نحوها واغلق الباب وظل يقترب وهى تعود الى الخلف حتى التصقت بالحائط نظر اليها بعينين حمراوتين وقال :

ـ ايه ؟؟ خايفة منى ؟؟

نظرت له سلمى بخوف وأخذ جسدها يرتجف ولم تجب فقال:

ـ بقي بتستغفليني يا سلمى؟؟

ـ انت..انت قصدك ايه؟؟

ـ مين يوسف ده اللى كل يوم خارجة معاه ورايحة جاية معاه في كل مكان

انقبض قلبها فور سماعها لاسم يوسف وقالت :

ـ لا..مين قالك كدة..انت عرفت ازاى؟؟

ـ امال كنتى فاكرانى أهبل؟؟

دفعته سلمى بيديها لتبعده عنها وصرخت في وجهه:

ـ ابعد عنى..اطلع برة

أمسك بذراعها بعنف ونظر لها بحدة ارعبتها وقال :

ـ ايه يا حلوة...بقي يوسف يبقي ليه الجمال ده كله لوحده وانا هقف اتفرج

ارتفع صوتها أكثر وقالت :

ـ ابعد عنى يا حقير والله هصوت والم عليك الناس

أمسكها من شعرها حتى مالت رأسها الى الخلف وصرخت من الألم فقال :

ـ ما تصوتى...يلا...وريني هتقولى للناس ايه...انتى نسيتي ان بينا عشرة وايام حلوة جال ببصره في أرجاء المنزل وقال :

ـ ده البيت ده ياما اتعشينا فيه عشا رومانسي وقضينا فيه وقت حلو..وانا اللى كنت فاكرك بتحبيني...طلعتى كنتى خايفة لاستاذ يوسف يعرف..لأ لأ لأ بجد انتى كدة زعلتيني

قالت سلمى و الدموع تندفع من عينيها :
ـ ارجوك سيبنى في حالى وامشي
ترك شعرها وامسك بوجهها وقال :
ـ ليه خايفة من ايه؟؟ وفيها ايه لما يعرف؟؟ اه صحيح نسيت اقولك..مش انا عرفت مصايبك كلها يا حلوة..ماما عاملة ايه؟؟
اتسعت حدقتا عين سلمى وارتبكت فأطلق ضحكةً رعناء وقال :
ـ مالك وشك اتخطف كدة ليه..بس متخافيش ولا كأنى عرفت حاجة
ـ قصدك ايه
نظر اليها نظرةً اخترقتها وتفحصها بنظراتٍ مريبة ففهمت ما يرمى اليه وقالت:
ـ اللى في دماغك ده تنساه..واتفضل اطلع برة حالاً
ـ لا منا نسيت اقولك انى مش بستأذنك
جمعت سلمى قواها وعاجلته بصفعةٍ قوية على وجهه أثارت ثورته..حاولت الفرار منه فأحكم قبضته عليها وحاول الاعتداء عليها ظلت تحاول الهرب ...عضته في يده اليمنى وافلتت منه واتجهت نحو النافذة وظلت تصرخ فاندفع اليها وامسك بشعرها ليدفعها الى الخلف وظلت هكذا بين كرٍ وفر حتى دق جرس الباب فاسرع الفتى ليغلقه من الداخل فاستغلت سلمى الفرصة

واسرعت لاحضار المكنسة وعاجلته بضربة على راسه واسرعت بفتح الباب وحدث ما حدث.

قطع شرود سلمى صوت الشرطي الذى دخل معلنًا انتهاء الزيارة لتعود سلمى الى حبسها ..ركب يوسف سيارته وذهب الى إحدى المقاهى ولكن هذه المرة لم يكن المقهى الذى اعتاد الذهاب اليه مع سلمى وكأنه يحاول بذلك الهرب من كل شيء يتعلق بها طلب كوبًا من القهوة لكنه لم يكتفى به فطلب كوبًا آخر ولكن الدوار لم يحل عن رأسه وظل يلازمه حتى بعد الكوب الثالث فطلب الحساب وترك المكان وذهب يتجول في شوارع المدينة ولم يشعر بالوقت إلا وهو يقترب من الثانية عشرة في منتصف الليل فآثر العودة الى المنزل كي لا تقلق والدته ،عاد الى المنزل متثاقل الخطى تبوح ملامحه بما يحمله من ألم وحزن فوجد والدته بانتظاره :

ـ في ايه يا يوسف بقالك كام يوم بترجع متأخر ومش على بعضك

نظر لها يوسف نظرة وكأنه يستنجد بها..أراد ان يبوح لها بكل ما في صدره..اراد ان يحتضنها ويبكى ..اراد ان يزيح عن عاتقه ذلك الهم الكبير...نظر اليها وكأنه يتفحصها لأول مرة...إنه لا يستطيع ان يتخيل حياته بدونها ليوم واحد..شعر في تلك اللحظة أن ما فقده بالنسبة لنظرة مليئة بالخوف والحنان

منها هو لا شيء..أراد أن يخبرها كم يفتقدها ولكنه خشي ان تتعجب من كلامه..أطال النظر اليها وترك عينيه تبوح لها بكل شيء وبقلب الام استطاعت ان تشعر بوليدها دون ان ينطق فقالت :

ـ يابنى انت حالك بقي صعب اوى..انت بتقطع قلبي عليك وانا مش قادرة أشوفك كدة..وشغلك يا يوسف..مبقتش تهتم بيه وبقيت تسيب ايام متروحش فيها المكتب

جلس يوسف على ركبتيه عند قدميها ووضع رأسه على فخديها وقال بأنين :

ـ ادعيلي ارجوكي يا أمى..ادعيلي ربنا يعدى الأزمة دى علي خير

ـ لو كنت تسمع كلامى بس يا يوسف مكانش جرالك كل ده

ـ مكانش بإيدي يا أمى..غصب عنى حبيتها

ـ هقولك ايه بس يابنى مهو اللى حصل حصل

نزلت دمعة حزينة على وجهه وقال :

ـ انا تعبان أوى يا أمى..نفس ارتاح

مسحت بيديها على رأسه وقالت :

ـ صدقنى هترتاح..انت طيب يا يوسف وربنا هيكرمك

ـ مش باين يا أمى

ـ اوعى تقول كدة تانى..اوعى تيأس من فرج ربنا..انا متعودتش اشوفك ضعيف اوى كدة..احنا ياما مرينا بظروف وانت كنت راجل وسند اعتمدت عليه زى أخوك، مش عايزاك تضعف دلوقتى يا يوسف

قام يوسف بجسده الهزيل وقلبه العليل بعدما ارهقه السهر ونال منه الحزن وزفر زفرةً طويلة كأنه يحاول اخراج كل ما يحمله من الم فيتبدد في الهواء ثم دخل الى غرفته وألقي بجسده على الفراش ليخفي جروحه خلف ستار النوم .

استيقظ في اليوم التالى مرهق الجسد وكأنه قضي ليلته الماضية في حمل الاثقال ، ارتدى ملابسه وتناول إفطاره بدون شهية ثم ذهب الى المكتب...دخلت اليه السكرتيرة لتخبره عن الاشخاص الذين سألوا عنه والاعمال المتأخرة خلال الفترة الماضية...طلب منها كوب قهوة قبل ان تضع الدفاتر على مكتبه وترحل..استغرق يوسف في العمل حتى موعد الغداء ثم ذهب لتناول الغداء في الخارج.

ذهب يوسف الى مطعم مجاور ثم أخرج هاتفه للاتصال بمعتز :

ـ ايوة يا معتز عملت ايه؟؟

ـ انا تقريباً وصلت لحاجة بس لسة عايز أتأكد

ـ يعنى قدامك وقت طويل

ـ أول ما اتأكد هتصل بيك ونتقابل
ـ خلاص تمام
أغلق يوسف الخط وسرح قليلًا فتذكر أنه لم يفي بوعده لمدام سماح بإيجاد حلًا لحالة مصطفي فأخرج رقمها على الفور واتصل بها :
ـ أيوة يا طنط ازى حضرتك انهاردة
ـ الحمدلله
ـ انا كنت بتصل بيكي عشان اسألك على مصطفي
ـ أهو على نفس حالته
ـ طب انا عايز اقابله
ـ تنور يابنى في أى وقت
ـ لا انا عايز اقابله لوحدنا بعيد عن البيت
ـ هو في حاجة ولا ايه؟؟
ـ لا متقلقيش بس انا عايزه ياخد راحته معايا في الكلام
ـ طيب..تاخد رقمه وتكلمه انت ولا ابلغه انا الاول ؟؟
ـ لا انا هكلمه
ـ خلاص الرقم اهو....
سجل يوسف الرقم على هاتفه وأنهى المكالمة ثم اتصل بمصطفي مباشرةً...انتظر قليلاً قبل ان يجيب مصطفي :
ـ الو

ـ ايوة يا مصطفي
ـ مين معايا؟؟
ـ انا يوسف المحامى
تغيرت نبرة صوته وقال باقتضاب :
ـ وعايز منى ايه؟؟
ـ ممكن نتقابل ؟؟
ـ وتقابلنى انا ليه؟؟ انا ايه دخلى بالموضوع؟؟
ـ هفهمك كل حاجة بس لما نتقابل
سكت مصطفي قليلًا فقال يوسف يحثه على الكلام :
ـ انت فاضي امتى ؟؟
أجابه مصطفي على مضض :
ـ انا مش فاضي عندى دروس
ـ ينفع تفضي نفسك نص ساعة بكرة على 4 كدة؟؟
ـ انا عندى بكرة درس هيخلص 5
انفرجت اسارير وجه يوسف وقال :
ـ خلاص نتقابل على 5 ونص...فين بقي؟؟
قال له مصطفي المكان الذى سينتظره به ثم أغلق الخط.
أنهى يوسف فترة الغداء وعاد الى مكتبه ليكمل عمله..أمضي مصطفي ليلته يفكر في الشيء الذى استدعى يوسف لطلب مقابلته وشعر ببعض الفضول حيال الأمر لكنه سرعان ما تغير

مزاجه عندما تذكر أخته وانه شخص من طرفها..انتهت الليلة وكلٌ يفكر فيما سيفعله غدًا...في اليوم التالى ذهب مصطفي الى دروسه وذهب يوسف الى العمل وفي تمام الخامسة والنص كان يوسف بانتظار مصطفي...تأخر مصطفي قليلًا عن ميعاده ثم أتى بالاخير...وقف يوسف لمصافحته ثم قال :

ـ ده انا قولت انك مش هتيجي

سحب مصطفي مقعدًا وقال باقتضاب :

ـ انا فعلاً مكنتش ناوى اجى

تنهد يوسف ثم وضع يديه على الطاولة وعقد أصابعه وبدأ حديثه :

ـ انا مقدر الحالة اللى انت فيها ومقدرش الومك..انا حاسس بيك

احتقن وجه مصطفي بالدماء وقال :

ـ متقولش حاسس بيك لأن محدش جرب اللى انا فيه

استطرد يوسف :

ـ انتوا مريتوا بظروف صعبة كتيرمش محتاج اتكلم عنها لكن انت كنت اقوى من كل ده وقدرت تتخطاها وانت في سن صغير

أطرق مصطفي قليلًا فأتبع يوسف :

ـ متظلمش أختك يا مصطفي

رفع مصطفي بصره بحدة واحتدت نبرته وقال :

ـ مظلمهاش!!!

أجاب يوسف بهدوء :

ـ أيوة متظلمهاش

ـ انت بتقول ايه؟؟ انت تعرف عننا ايه اصلاً عشان تتكلم؟؟

ـ اعرف كل حاجة حتى الحاجات اللى انت متعرفهاش

ابتسم مصطفي بسخرية ممزوجة بالغضب وقال بتهكم :

ـ يا سلام..ناقص تقولى ده انا شيلتك بايديا دول وانت لسة في اللفة

حافظ يوسف على هدوءه وقال :

ـ متنساش انك كنت صغير لما معظم المشاكل حصلت وفي حاجات كتيرة اوى انت متعرفهاش

ـ والحاجات دى بقي اللى انت تعرفها صح؟؟

ـ انا عايز اساعدك

ـ تساعدنى في ايه بالظبط ؟؟ لو بجد عايز تساعدنى متورينيش وشك في بيتنا تانى ولا تجبلنا اى اخبار عنها

ـ متبقاش قاسي اوى كدة

ـ مستنى منى ايه بعد اللى شوفناه منها

ـ في حاجات كتيرة انت متعرفهاش يا مصطفي

ـ واللى هى ايه بقي ؟؟

ـ ساعات النور الزيادة بيعمى

ـ انت عايز تقول ايه؟؟
ـ هتعرف كل حاجة بس في أوانها..انا كل اللي بطلبه منك انك تحاول تشيل الحاجز اللى اتبني جواك من ناحية سلمى ولو هى غلطت فهى خدت جزاءها خلاص ودفعت التمن غالى أوى
ـ هى مدفعتش التمن لوحدها دى دفعتهولنا كلنا
ـ وهى مغلطتش لوحدها
ـ مش ذنبنا ان بابا طلع كدة وهى اتخلت عنى انا وماما
ـ قولتلك انت مش شايف غير نص الحقيقة
ـ طب ما تعرفنى الحقيقة كلها
ـ مقدرش...مش من حقي..بس ممكن اقولك تعرفها من مين ؟؟
ـ من مين؟؟؟
ـ سلمى
ـ انت جاى تتريق ؟؟
ـ انا بتكلم جد...سلمى مش وحشة أوى كدة..هى يمكن غلطت وأوى كمان بس متستحقش ان كل الناس تتخلى عنها في أزمة زى دى
ـ انا همشي
ـ خد وقتك في التفكير..بس انا عارف انك هتوافق
ـ وايه اللى خلاك واثق أوى كدة؟؟
ـ عشان اللى زيك مبيعرفش يكره

تعجب مصطفي من جملته الاخيرة..أراد ان يستوضح الأمر لكن يوسف لم يعطه الفرصة فهمّ بالنهوض وقال لمصطفي :

ـ يلا عشان اوصلك

عاد مصطفي الى منزله مشغول الفكر، جلس في غرفته ساهمًا وأخذ يفكر فيما يقصده يوسف بحديثه..نادته والدته لتناول العشاء فخرج من غرفته..جلس على المائدة وأخذ يعبث بالملعقة دون أن يتناول شيء..أرادت سماح ان تسأله عما دار بينه وبين يوسف لكنها خشيت أن ينزعج فآثرت الصمت..قطع مصطفي صمتها :

ـ حضرتك اللى ادتيله الرقم؟؟

نظرت اليه والدته وقالت:

ـ انتوا اتقابلتوا ؟؟

ـ ايوة

ـ كان عايز منك ايه؟؟

ـ قال كلام غريب أوى..وقالى انى مش شايف غير نص الحقيقة وطلب منى أشيل الحاجز اللى جوايا بيني وبين سلمى انصتت والدته الى حديثه وقالت بحرص :

ـ وانت قولتله ايه؟؟

ـ قولتله انى مش عايز اشوف وشه في بيتنا ولا اسمع عنها حاجة تانى

ـ وهو قالك ايه؟؟

ـ قالى بلاش تظلمها سلمى مش وحشة أوى كدة..طلبت منه يقولى اللى انا مش عارفه قالى ان مش من حقه وانى لو عايز اعرف اسأل سلمى

نظرت له والدته بدهشة وقالت :

ـ تسأل سلمى!!

ـ انا بردو استغربت وقولتله انت جاى تتريق بس هو أكدلى انه بيتكلم جد وقالى افكر كويس وانه متأكد انى هوافق ولما سالته ليه واثق كدة قالى ان اللى زيي مبيعرفش يكره

ازدردت سماح ريقها بصعوبة وقالت بتردد:

ـ مصطفي انت دلوقتى كبرت..وفي حاجات مهمة لازم تعرفها

ـ هو في ايه؟؟ انتوا كلكوا بتقولوا نفس الكلام!!

ـ لأن هى دى الحقيقة

ـ طب ما تعرفيني

كان يوسف يجلس في المنزل يراجع بعض الأوراق عندما رن هاتفه برقم معتز تناول الهاتف وأجاب :

ـ ايه يا معتز عملت ايه؟؟

ـ تمام أوى انا هعدى عليك بكرة في المكتب

ـ خلاص ماشي..وانا مستنيك

في اليوم التالى ذهب معتز لمقابلة يوسف...صافحه يوسف وطلب له القهوة ثم جلسا فبدأ معتز حديثه :

ـ ده الراجل ده طلع مصيبة

ـ فعلاً طلع ليه شغل مشبوه؟؟

ـ قصدك طلع ليه شغل نضيف؟؟

ـ ايه ده للدرجة دى ؟؟

ـ يابنى ده طلع متورط في قضايا نصب واحتيال وبلاوى

ـ طب جبت الورق اللى يثبت ده؟؟

ـ أيوة

فتح معتز حقيبته وأخرج بعض الاوراق وأعطاها ليوسف ليتصفحها..نظر يوسف للاوراق ثم قال :

ـ حلو أوى...القضية بدأت بقتل دفاع عن النفس وانتهت بنصب واحتيال

أطلق معتز ضحكة مرحة وقال :

ـ عشان الواحد ميزهقش بردو

ابتسم يوسف وقال :

ـ المهم..هنعمل ايه؟؟

ـ بص..هو مش هيسكت وهيفضل يفتح أبواب مش هتتقفل بدأها بموضوع القضية اللى رفعها على أخوه وشكله ناوى على نية سودة لسلمى فاحنا قدامنا حل من الاتنين

يا نحل الموضوع بشكل ودى بما ان احنا مسكنا عليه حاجات مهمة يا اما نقدم الورق ده في المحكمة ونكمل في القضية

ـ بس موضوع النصب ده حتى لو سجنه مش هيطلع سلمى من السجن وهو شكله مالى ايده كويس وعارف هو بيعمل ايه

ـ امال انت رأيك ايه؟؟

ـ احنا لازم نعرف هو كان بيتعاطى حاجة ولا لأ

ـ قصدك نثبت انه مكانش في وعيه لما راحلها؟؟

ـ أيوة

ـ بس الجثة راحت المشرحة وأكيد لو كان متعاطى حاجة كانوا عرفوا من أول ما الجريمة حصلت

ـ احنا بس هنهدده..عايزين نثبت بأى طريقة انه كان بيتعاطى حاجة ونفهمه ان احنا هنطالب بإعادة تشريح الجثة وهنهدده بالأوراق اللى معانا

ـ تفتكر يعنى المحامى بتاعه فاتته حاجة زى دى؟؟

ـ وتفتكر ان المحامى بتاعه نضيف أصلاً ؟؟

ـ طب وايه اللى يخلينا نعمل كل ده؟؟

ـ انا عايزه يتنازل عن القضية اللى رفعها على أخوه...احنا حتى لو كسبنا القضية دى وبلغنا عن قضايا النصب والاحتيال أخوه بردو هيتسجن

ـ واحنا يهمنا ايه في الموضوع ده !!

ـ هيفرق معايا
ـ مع انى مش فاهم اللى في دماغك بس ماشي
ـ بص انت بكرة تروح تقابل المحامى بتاعه وتعرفه ان احنا معانا ورق يوديهم هما الاتنين في داهية وتعمل معاه اتفاق ان احنا ولا كأننا عرفنا حاجة مقابل انه يفهم سليم ان احنا نقدر نطالب بتشريح الجثة ونثبت انه كان بيتعاطى مخدرات ومكانش في وعيه وبكدة تضيع أى فرصة ليهم في إنهم يلعبوا في القضية وانا هروح أقابل سليم وأهدده بالأوراق دى وهطلب منه يتنازل عن القضية بتاعت أخوه قبل الجلسة
ـ خلاص اتفقنا..يلا همشي انا بقي
في ذلك الوقت كان مصطفي يحاول استيعاب كل ما حدث وما أخبرته به والدته.. هل من الممكن ان تكون سلمى قد عرفت أى شىء مما جعلها تتصرف بتلك العداوة مع والدتهم؟؟ هناك حلقة مفقودة في تلك القصة ويبدو أن يوسف كان محقًا عندما أخبره بأن الوحيد الذى سيكمل تلك الحلقة هى سلمى..تردد كثيرًا قبل ان يبحث عن رقم يوسف ليتصل به حتى استجمع قواه وحسم أمره في النهاية...أتاه صوت يوسف من الجانب الآخر :
ـ ازيك يا مصطفي عامل ايه دلوقتى؟؟
ازدرد مصطفي ريقه ولم يجب فقال يوسف :

ـ من حسن الحظ ان معاد الزيارة بكرة
أجاب مصطفي بتردد :
ـ انا عايز ازورها بس عشان اعرف بقيت الحقيقة..أنا عايز أرتاح من الكابوس ده
ـ صدقنى هانت...كل ده هيخلص قريب أوى
ـ طب هنتقابل فين؟؟
ـ هعدى عليك بكرة عشان اخدك
تنهد مصطفي بألم وقال :
ـ طيب
في اليوم التالى ذهب يوسف لاصطحابه للزيارة ..شعر مصطفي برعشة غريبة تسري بجسده فور وصولهم...ربّت يوسف على كتفه ليشدد من أزره ثم قال :
ـ انا مش هدخل معاك
ـ ايه؟؟ لا، لازم تيجي معايا
ـ كدة أحسن عشان تعرفوا تاخدوا راحتكوا
ـ طيب
دخل مصطفي بتردد...كم كان يتمنى رؤية شقيقته التى قضى معها معظم طفولته ولكنه لم يتخيل قط أن تكون بهذه الطريقة...رفع بصره اليها فصعقه منظرها..ماذا حدث بها!!
لقد تغيرت كثيرًا ، شعر بالشفقة عندما رآها بتلك الحالة تولّد

بداخله مزيج من الاشتياق والحزن والالم والشفقة وقف متسمرًا في مكانه فاندفعت اليه تحتضنه بشدّة وأجهشت في البكاء :

ـ مصطفي...انت وحشتنى أوى..أنا كنت فاكرة انى مش هشوفكم تانى

لم يتحرك مصطفي أو ينطق بكلمة وكأنه تجمد..ابتعدت عنه قليلًا وأخذت تتفحصه وتقول :

ـ انت كبرت وبقيت راجل..يااااااه وحشتنى أوى

أخيرًا وجد لسانه ونطق بكلماتٍ صارمة :

ـ انا جاى هنا عشان أسألك عملتى كدة ليه ؟؟

ـ أنا مظلومة يا مصطفي..ده إنسان حقير والقتل قليل عليه

ـ انا مش بتكلم في الموضوع ده

نظرت له سلمى بتشكك وقالت :

ـ امال قصدك ايه؟؟

ـ انتى كنتى عارفة حاجة عن موضوع بابا وماما ؟؟

جلست سلمى ودعته للجلوس..تنهدت بعمق ثم قالت :

ـ أيوة

شعر مصطفي بغصة في حلقه وألم في صدره فاستطردت :

ـ كنت بسمع ساعات كلام من تيتا وجدو ولما كبرت عرفت الموضوع بالتفصيل من عمّى

ـ عمك اللى روحتى تشتكيله وتقوليله يبعتك لبابا؟؟

ـ انت مش فاهم حاجة يا مصطفى
ـ وانا جاى عشان تفهميني
في ذلك التوقيت كان معتز يتفاوض مع محامى سليم وتجرى الأمور كما خططوا لها انتهت الزيارة وخرج مصطفي وبداخله بركان ثائر...كان قلبه ينتفض من الصدمة والألم ..ليته لم يعرف شىء...ليته بقي على جهله وعماه...من يجب أن يسامح شقيقته أم والدته؟!! القي برأسه الى الخلف وأغمض عينيه يحاول حبس دموعه بينما كان يوسف بجواره يقود السيارة ويسترق النظر اليه بين الفيّنة والأخرى ...لم يشعر مصطفي أن يوسف لا يسير باتجاه المنزل حتى توقف يوسف عند إحدى المقاهى ونزل من السيارة وفتح له الباب..نظر اليه بتعجب فأوضح له يوسف الأمر :
ـ تعالى عشان عايز اتكلم معاك
استجاب له مصطفي دون مقاومة...دخلا معًا وجلسا على إحدى الطاولات..طلب يوسف كوبين من عصير الليمون وبدأ حديثه :
ـ عايز تعيط؟؟
نظر له مصطفي باستنجاد..أراد ان يصرخ ...اراد ان يبكى كطفلٍ صغير..كان يحترق من الداخل..صدق من قال أن المصائب لا تأتيك فرادى..لقد كان محقًا عندما أخبره أن

الضوء الزائد قد يعمى..ليته بقي في الظلام بدل أن يحترق بضوء الواقع كان يوسف يشعر بألمه فلم يكن حاله بأفضل منه أراد أن يطيّب خاطره ويخفف عنه عسى يطيب جرحه معه..قال له بلهجةٍ حانية :

ـ سامح عشان نفسك مش عشان حد

أخفض مصطفي بصره ولم يعقّب فأردف يوسف :

ـ صدقنى هترتاح...كلنا بنغلط محدش فينا معصوم من الخطأ

ـ بس خطأ عن خطأ يفرق

ـ مش احنا اللى بنحكم علي بعض يا مصطفي

ـ بس دول أهلى

ـ انت ليه مصمم توجع نفسك وتدوس على الجرح.. انا عارف ان الاهل بتكون حاجة مقدسة بالنسبة لكل انسان وبيكونوا بالنسبالنا مثل اعلى مينفعش يغلط بس أحيانًا بيكون تفكيرنا بالطريقة دى أنانية

ـ ازاى؟؟

ـ ليه بندى الحق لنفسنا اننا نغلط ونطلب من كل الناس تسامحنا وبنمنع غيرنا من الحق ده؟؟

ـ عشان هما اللى المفروض يحاسبونا ويقوّمونا مش العكس

ـ يمكن معاك حق في اللى بتقوله بس الغلط مش مكتوب عليه للصغار فقط ولو كانوا كل الأهل ملايكة مكانش بقي فيه نار ولو كان الذنب مبيتغفرش مكانش ربنا حرّم الانتحار

ـ حط نفسك مكانى تفتكر الموضوع كان هيبقي بالسهولة دى؟؟

ـ مين قالك انى مش حاسس بيك...

ـ وهتحس بيّا ازاى!!

اعتصر قلب يوسف من الألم..ازداد نزيف جرحه الذى لم يُشفى بعد.. شعر بغصة ومرارة حاول جاهدًا في إخفائها وهو يجيب :

ـ سلمى دى كانت هتبقي مراتى

نظر له مصطفي بعدم استيعاب فأكمل يوسف :

ـ انت متعرفش هى كانت بالنسبالى ايه...مسألتش نفسك انا ليه مكلف نفسي كل التعب ده؟؟ اللى بعمله ده مش جزء من مهنتى وانت أكيد عارف ده كويس

ـ يعنى انت عايز تفهمنى انك هتقدر تنسي كل ده وتكمل عادى؟؟

ـ في فرق بين انى أسامحها وانى أكمل معاها

ـ النتيجة واحدة..انت مش هتقدر تكمل معاها عشان مش هتقدر تسامحها على اللى حصل

ـ انا مش هقدر أكمل مش بسبب اللى حصل..انا مشكلتى الوحيدة معاها انها خبت عليّا كل ده ومصارحتنيش..لو كانت صارحتنى من البداية مكناش وصلنا لكل ده

ـ وهو الكدب خارج قانون الثواب والعقاب!!

لم يستطع يوسف مجاراته في الحديث وشعر أنه غُلِب على أمره لقد أبطل حججه و يبدو أنه محق فيما يقول، استمر مصطفي في تسديد سهامه اليه وقال :

ـ شفت بقي ان الموضوع مش بالسهولة دى؟؟؟ متطلبش منى حاجة انت نفسك مش قادر تعملها

لم يعتد يوسف على الانسحاب من المعركة فآثر ان يكمل الحرب وقال بحزم :

ـ بس لو اتغيرت فعلاً ليه لأ ؟؟

يبدو أن مصطفي كان مخطئًا حين ظن انه ربح المعركة..سأله مستفهمًا :

ـ قصدك ايه؟؟

ـ قصدى ان احنا بنسامح من جوانا وبعد كدة بنحدد علاقتنا بيهم بناءًا على تصرفاتهم...لو فعلاً اتغيروا ليه منبدأش من جديد؟؟ يعنى مثلاً مامتك تفتكر مندمتش على كل اللى حصل؟؟

ـ معرفش

ـ لو مكانتش ندمت وفتحت صفحة جديدة تفتكر شبح الماضي مكانش هيطاردكم؟؟

ـ يعنى ايه؟؟

ـ مسألتش نفسك ليه مامتك مفكرتش تتجوز تانى بعد والدك؟؟ وليه عمك بعد عنكم وسابكوا في حالكوا ؟؟

ـ ليه؟؟

ـ عشان هى قررت تدفع تمن غلطتها وتنسي الماضي وتبص لبكرة...قررت تعيش ليك وبس وتحاول تعوضك عن كل اللى فات..ليه مش عايز تدى لأختك الفرصة دى ؟؟

ـ طب وانت هتقدر تعمل كدة؟؟

ـ انا هسيب الظروف هى اللى تقرر علاقتنا هترسي علي ايه..كل اللى هقدر اعمله دلوقتى انى اسامحها من جوايا عشان ارتاح وادى لنفسي وليها فرصة كل واحد يداوى جروحه...الاهل حاجة الواحد مبيخترهاش يا مصطفي ولازم نسامحهم عشان حياتنا متتحولش لجحيم لكن في الحب القلب هو اللى بيختار امتى يسامح وامتى يبعد

* * * *

ـ سلمى انتى حطيتى القميص الجديد بتاعى فين؟؟

ـ في الدولاب يا مصطفي دور كويس هتلاقيه

ـ سلمى اطفي على الرز هيشيط

ـ حاضر يا ماما رايحة اهو

تركت سلمى الحاسوب وقامت لتغلق النار ونادت على الجميع :

ـ الاكل جاهز اغرف؟؟

جاءها صوت مصطفي من الداخل :

ـ متعمليش حسابي انا هتغدى برة انهاردة

خرجت سلمى من المطبخ وذهبت الى غرفة مصطفي وقالت :

ـ نعم؟؟ ورايح فين بقي ان شاء الله؟؟

أجابها وهو يغلق زر القميص أمام المرآة :

ـ رايح أقابل يوسف كان جايبلى شغل تبع واحد صاحبة في مكتب هاخد فيه فكرة عن المجال عشان ابقي أنزل في الاجازات تدريب

شعرت سلمى بغصة في حلقها إثر سماعها لذلك الاسم وتسارعت ضربات قلبها، صمتت هنيهة قبل ان تجيب :

ـ هو عامل ايه دلوقتى ؟؟

القي مصطفي نظرة سريعة عليها ثم قال وهو يدير لها ظهره ليحضر حقيبته :

ـ الحمدلله كويس

ـ ايه..هو مش ناوى يخطب بقي؟؟

ـ معرفش بس معتقدش انه بيفكر في الموضوع ده دلوقتى هو حالياً مركز اكتر في شغله

ابتسمت سلمى ابتسامة خفيفة ثم قالت :

ـ ربنا يرزقه بواحدة تستاهله هو يستاهل كل خير

ثم اسرعت الى المطبخ لتحضر الاطباق وتدارى دموعها التى أنذرت بالنزول وأخذت تسترجع أحداث المقابلة الاخيرة بينهما منذ خمسة أسابيع....

كانت تستلم بعض الاوراق من الجامعة فقادها الحنين الى تلك العمارة التى أمضت فيها اجمل أيام حياتها وأسوأ كوابيسها أيضاً...رفعت رأسها الى أعلى وأخذت تتأمل تلك النافذة التى لطالما وقفت بها تنتظره حين كان يذهب الى مكان ما ويتأخر...نظرت إلى باب العمارة وأخذت تسترجع أول لقاء لهما...ذلك اللقاء الذى بدل حياتها إلى الابد...أخذت تتأمل كل شبر يحمل ذكرياتهما معاً حتى اصطدمت بشخصٍ ما :

ـ أنا أسف حضرتك مخدتش بالى أصلي كنت نازل بسرعة و.....

ـ يوسف؟؟؟ انت لسة بردو فيك نفس العادة؟؟

تسمر يوسف في مكانه بعد ان بترت المفاجأة كلماته فاسترسليت:

ـ عامل ايه دلوقتى؟؟

اجابها متلعثماً وهو ينظر إلى الارض :

ـ الحمدلله كويس...انتى عاملة ايه؟؟

ابتسمت سلمى بحنان وقالت :

ـ كويسة...كويسة أوى ... انا عمرى ما كنت كويسة زى دلوقتى

ـ طيب... انا مضطر أمشي دلوقتتى عشان اتأخرت

قال جملته وهو يتخطاها الى حيث يترك سيارته فاستوقفته سريعًا :

ـ ابقي خلينا نطمن عليك ده احنا حتى كان فيه مبينا جيرة على الاقل عشان مصطفي وماما نفسهم يشوفوك

التفت اليها بتردد ونظر في عينيها فاقشعرّ بدنه حين رأى تلك اللمعة التى عادت الى عينيها تزيد من ابرازها الدموع...لا يدرى لكم من الوقت وقف يتأملها حتى رن جرس هاتفه ليسحبه من تلك الدوامة التى كان يقف على أعتابها وتنذره أنه لم يحن الوقت بعد ليبدأ قصة حبٍ جديدة مع فتاةٍ جديدة فهو لم ينسي القديمة بعد.

عادت سلمى الى وعيها لتنتهى من تحضير الاطباق وتخرج لوضعها على المائدة كان قد مر عام كامل منذ الحادث تغير فيه كل شيء....خرجت سلمى من السجن وبدأت حياة جديدة بعد ان اعطتها الحياة درسًا سيظل محفورًا في ذاكرتها الى الابد...في البداية لم يتقبل مصطفي الامر ووجد صعوبة بالغة في مواكبة التغيرات التى طرأت علي حياتهم مؤخرًا ولكنه كعادته استطاع تخطى الأمر، دخل كلية الهندسة وتخرجت سلمى من الجامعة وأصبحت تعمل لتريح والدتها من عناء العمل...عاد وائل من الخارج وباشر العلاج مرةً أخرى وتم احتجازه في مشفي لإعادة التأهيل النفسي بينما واظب يوسف على العمل وحاول الانشغال به قدر الامكان اما سليم فقد علم ان اوراقه بدأت بالانكشاف فقرر ان يترك البلد ويسافر بعد ان فقد ولده وخسر القضية ...دارت الحياة وكالعادة لم تقف عند حدثٍ ما ولم تقف على أحد ..هناك من بدأ حياته من الصفر

كوائل وسلمى وهناك من أكمل طريقه بعد أن توقف قليلاً كسماح ومصطفي ويوسف وسليم ومضى الجميع في طريقه...ولكن يظل الحب هو الشيء الوحيد الذى لا يندرج تحت قانون محدد فنظل خاضعين لسلطة القلب...هو من يحب وهو من يكره..هو من يقترب وهو من يبتعد...هناك من يستطيع الاستمرار رغم كل شيء وهناك من تختلف مشاعره باختلاف الظروف...ربما تستغرق جراح أجسادنا فترة من الزمن لتشفي ولكن القلب لا يعنيه توقيتنا وزماننا..هو من يحدد متى يشفي الجرح ومن الذى يداويه ولا يتشابه قلبان في التذكر أو النسيان فهناك علاقات تُكتب لها النهاية الابدية كسماح ووائل وعلاقات أخرى تظل في صراع الامواج ما بين الغرق والنجاة كيوسف وسلمى...هكذا هى دوامة الاخطاء تبدأ حياتنا بخطأ صغير فيفتح علينا أبواب الجحيم حتى تأتى اليد الخفيّة التى تنتشلنا منها..ربما تكون شخص ما..... وربما تكون..... شخصنا نحن